تاليف : الدكتور عبد الله حمادي
أستاذ بجامعة قسنطينة





الحركة الطلابية الجزائرية

1871 . 1962

« مشارب ثقافية وايديولوجية »

الطبعة الثانية منقحة و مزيدة

منشورات المتحف الوطني للمجاهد

تاليف : الدكتور عبد الله حمادي أستاذ بجامعة قسنطينة
الحركة الطلابية الجزائرية
1871 . 1962
« مشارب ثقافية وايديولوجية »

بيان أول نوفمبر 1954

«أيها الشعب الجزائري،
أيها المناضلون من أجل القضية الوطنية.

«أنتم الذين ستصدرون حكمكم بشأننا ـ نعني الشعب بصفة عامة والمناضلين بصفة خاصة ـ نعلمكم أن غرضنا من نشر هذا الاعلان هو أن نوضح لكم الأسباب العميقة التي دفعتنا إلى العمل، بأن نوضح لكم مشروعنا والهدف من عملنا، ومقومات وجهة نظرنا الأساسية، التي تهدف الى الاستقلال الوطني في إطار الشمال الافريقي ورغبتنا أيضا هو أن نجنبكم الالتباس الذي يمكن أن توقعكم فيه الامبريالية وعملاؤها الاداريون وبعض محترفي السياسة الانتهازية.
فنحن نعتبر، قبل كل شيء أن الحركة الوطنية ـ بعد مراحل من الكفاح ـ قد أدركت مرحلة التحقيق النهائية فإذا كان هدف أي حركة ثورية ـ في الواقع ـ هو خلق جميع الظروف الثورية للقيام بعملية تحريرية، فإننا نعتبر أن الشعب الجزائري في أوضاعه الداخلية متحدا حول قضية الاستقلال والعمل. أما في الأوضاع الخارجية فإن الانفراج الدولي مناسب لتسوية بعض المشاكل الثانوية التي من بينها قضيتنا التي تجد سندها الدبلوماسي وخاصة من طرف إخواننا العرب والمسلمين.
إن أحداث المغرب وتونس لها دلالتها في هذا الصدد فهي تمثل بعمق مراحل الكفاح التحريري في شمال افريقيا. ومما يلاحظ في هذا الميدان أننا كنا منذ مدة طويلة أول الداعين الى الوحدة في العمل، هذه الوحدة التي لم يتح لها مع الأسف التحقيق أبدا بين الأقطار الثلاثة.
«إن كل واحد منها قد اندفع اليوم في هذا السبيل، أما نحن الذين بقينا في مؤخرة الركب فإننا نتعرض إلى مصير من تجاوزته الأحداث. وهكذا فإن حركتنا الوطنية قد وجدت نفسها، محطمة نتيجة لسنوات طويلة من الجمود والروتين، توجيهها سيء محرومة من سند الرأي العام الضروري قد تجاوزتها الأحداث، الأمر الذي جعل الاستعمار يطير فرحا ظنا منه أنه قد أحرز أضخم انتصاراته في كفاحه ضد الطليعة الجزائرية، إن المرحلة خطيرة.
«أمام هذه الوضعية التي يخشى أن يصبح علاجها مستحيلا وأن مجموعة من الشباب المسؤولين المناضلين الواعين التي جمعت حولها أغلب العناصر التي لا تزال سليمة ومصممة، إن الوقت قد حان لاخراج الحركة الوطنية من المأزق الذي أوقعها فيه صراع الأشخاص والتأثيرات لدفعها إلى المعركة الحقيقية الثورية إلى جانب إخواننا المغاربة والتونسيين.
وبهذا الصدد فإننا نوضح بأننا مستقلون عن الطرفين اللذين يتنازعان السلطة، إن حركتنا قد وضعت المصلحة الوطنية فوق كل الاعتبارات التافهة والمغلوطة لقضية الأشخاص والسمعة ولذلك فهي موجهة فقط ضد الاستعمار الذي هو العدو الوحيد الأعمى. الذي رفض أمام وسائل الكفاح السليمة، أن يمنح أدنى حرية.
«ونظن أن هذه أسباب كافية لجعل حركتنا التجديدية تظهر تحت إسم:
«جبهة التحرير الوطني»:
وهكذا نتخلص من جميع التنازلات المحتملة، ونتيح الفرصة لجميع المواطنين الجزائريين من جميع الطبقات الاجتماعية وجميع الأحزاب والحركات الجزائرية الفرصة أن تنضم إلى الكفاح التحريري دون أدنى أعتبار آخر.
ولكي نبين بوضوح هدفنا فإننا نسطر فيما يلي الخطوط العريضة لبرنامجنا:
الهدف: الاستقلال الوطني بواسطة:
1) إقامة الدولة الجزائرية الديموقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادىء الاسلامية.
2) احترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني.

تأليف : الدكتور عبد الله حمادي
أستاذ بجامعة قسنطينة

الحركة الطلابية الجزائرية

1871 ـ 1962

« مشارب ثقافية وايديولوجية »

الطبعة الثانية منقحة ومزيدة

الإيديولوجية الفرنكفونية في الجزائر

(من خلفيات الصراع)

تأليف : الدكتور عبد الله حمادي

أستاذ بجامعة قسنطينة

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

بســـم الله الـــرحمـــن الـــرحيـــم

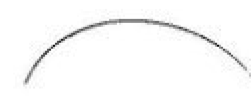
يتشـــرف المتحف الـوطني للمجاهـد، أن يضع بين يـدي القـارىء الكـريم هـذا الكتـاب القيـم الـذي بـدون شـك سيسهـم في إثـــراء المكتبـة الوطنيـة والثقافـة الانسانيـة ويضيف لبنـة الـى صـرح تـاريخ شعبنـا العـــريق في النضـــال والتضحيـــة .

«المتحف الـوطني للمجاهـد»

1995

الإهداء

إلى أرواح كل طلبة الجزائر الذين
استشهدوا في ميدان الجهاد من أجل
أن تحيا الجزائر حرة مستقلة ...



الإفتتاحية :

إن الحديث عن تاريخ الحركة الطلابية في الجزائر ليس حديثا سهلا، بل، يكاد يكون من الصعوبة بمكان وذلك للندرة الفادحة للمؤلفات التي اهتمت بهذا الجانب، إن لم تكن منعدمة أصلا، وخاصة ما كتب منها باللغة العربية.

فالحركة الطلابية الجزائرية التي ترجع جذور نضالاتها النقابية والسياسية إلى الثلاثينيات، إن لم نقل أبعد من هذا التاريخ ،تبقى اليوم ملامحها باهتة، وتفاصيلها مجهولة لذى المتتبع للنشاط الطلابي الذي واكب حضوره دائما حضور المرافق التعليمية بمختلف مستوياتها، وقد لاحظنا من خلال الدراسة التي نقدمها اليوم أن تدشين جامعة الجزائر إبان الإستعمار كان في العقد الأول من مطلع هذا القرن، وهو ما يفسر احتمال ظهور هذا النوع من النضال الطلابي المتميز في أعوام مبكرة من هذا القرن، وكذا ظهور الوعي السياسي الوطني لدى الشعب الجزائري.

لقد أجهدت نفسي وأنا أعالج هذا الموضوع الدقيق والحساس لأكشف قدر المستطاع الخيوط الدقيقة التي توصلنا إلى المحطات الكبرى التي عرفتها منعرجات الحركات الطلابية وهي تناضل على جبهات مختلفة سواء من أجل التأسيس، أو من أجل فرض حضورها ككيان له اعتباره الخاص، أو من أجل

مكاسب تسمو بطموحاتها لتجعل من الحركة الطلابية قوة حية لا تتخلف عن ركب الحضارات الطلابية العالمية الأخرى في مختلف بقاع العالم. إنها وجه آخر من وجوه الوعي المبكر لدى الشعب الجزائري ممثلا في شريحته المستنيرة الواعية لضرورة التميز بملامح الشخصية الوطنية حتى لا تكون مجرد طابور مساير لحركات أخرى لها أهدافها ومشاربها المغايرة.

إن الحركة الطلابية الجزائرية الفذة - ويحق لنا أن ننعتها بهذا النعت المتميز - نجدها من خلال تتبعنا لصراعاتها النضالية قد عانت وعاشت الويلات، وأخذت على عاتقها مبدأ اقتحام الصعاب من أجل فرض حضورها المكثف في مختلف المنتديات الدولية، وهو ما سيلاحظه المتتبع جليا في هذه الدراسة، وسوف تكون أمامه - ولأول مرة - شهادات حية وعلمية عن صانعي صرح الحركات الطلابية عبر أجيال من النضالات، و لن يكون الإحتفال هذه المرة بذكرى الطالب مجردا هذهالمرة من حقائقه التاريخية، أو مجرد ذكرى عابرة تسمى في رزنامة الأعياد الوطنية بذكرى 19 ماي 1956 ، أو ذكرى الإنتفاضة الطلابية التي غالبا ما نتلقاها من خلال البوح، أو المكاشفات المحتشمة، أو الإعترافات التي يشوبها الغموض، أو التضارب من أفواه من بقي من صانعي هذه الملحمة الطلابية الجزائرية المشحونة بروح التحدي والمثابرة والمسكونة بإرادة التجديد والتجاوز.

إن مجالات الحركة الطلابية الجزائرية بمختلف نضالاتها لا تزال ساحة رحبة للبحث والتنقيب، وقد جاءت محاولتنا المتواضعة لتصنع «الحدث التكريمي» لهذه الشريحة المتميزة، وتضع اللبنة الأولى التي تُحَرِض على فاتحة البناء الحقيقي، والإهتمام الفعلي بمنجزات هذه النخبة المستنيرة في تاريخ شعبنا المليء بالإنجازات الملحمية. و لا أعتقد أن الذكرى في حد ذاتها تنفع إذا هي لم تبذل الجهود من أجل التأسيس العلمي لها ،وإعادة النظر في مظامينها، والإعتبار من محطاتها كي يكون هناك تواصل فعلي، واستمرار حقيقي، وتجاوز لما يمكن طرحه، والإستفادة مما يمكن اعتباره مثلا يستحق التنويه ويحتمل

الصمود.

إن الإحتفالات بذكرى 19 ماي ـ حسب معلوماتي ـ كانت ولا تزال في جامعاتنا، أو في المواعيد الرسمية العالية المستوى مجرد شعارات ترفع ثم تطوى في حقائب النسيان، أو مجرد ذكرى تمر وتعود دون أن تترك العبرة اللازمة والدرس الضروري. فكيف سيكون ذلك، ونحن الآن نسأل أي طالب عن الدور الذي خاضه من صنعوا هذا التاريخ الطويل من هذه النضالات فلا نظفر منه بالإجابة سوى ردود باهتة ومشوشة مفادها أن طلاب الجزائر: قرروا مغادرة مقاعد الدراسة، والإضراب العام في 19ماي 1956 والإلتحاق بصفوف جيش التحرير من أجل القضية الوطنية النبيلة ؟! ...

لكن تفاصيل هذا الحدث التاريخي المهم بمختلف أسبابه الموضوعية والذاتية، وبمختلف مشاريه الفكرية والإيديولوجية، وبمختلف أوجه التحضيرات والصراعات التي مهدت لميلاده تبقى مجهولة، إن لم نقل محضورة على المتتبع لمثل هذا المسار التاريخي الخطر، إنها أسرار تفتقد من يمتلك الشجاعة العلمية الكاملة لإماطة اللثام عن خباياها لتكون عندئذ الإفادة والإستفادة من دروسها السامية أشمل وأفضل.

لذا سيجد الطالب والقارئ على حد سواء في هذه المحاولة المتواضعة التفاتة، لا أزعم أنها شاملة وشافية، أو خالية من النقص، بل أكاد أجزم أنها فريدة في مجالها؛ لأنني أخذت على عاتقي مهمة الولوج إلى أعماق هذا المسار النضالي الطلابي المحفوف بالمخاطر والمزالق، وحاولت قدر المستطاع التعامل مع الشهادات والنصوص بقدر كبير من الموضوعية والجدية والجرأة أحيانا.

إنها محاولة ـ كما سيلاحظ القارئ الكريم ـ جديدة وجريئة وتنتظر من يمدها بيد التواصل والإستمرار وخاصة ممن تهمهم مثل هذه الدراسات التاريخية والسياسية والثقافية حتى يكشف النقاب عن بقية خباياها التي ما تزال في حاجة إلى توضيح أكثر ودراسة أوسع، وبهذا نكون قد ساهمنا بجهد

المقِلَ في هذه الذكرى العزيزة على كل مثقف جزائري مهما كانت مشاربه الثقافية؛ لأن الحركة الطلابية في آخر المطاف هي رصيدنا، ورصيد كل من لامست قدماه الحرم الجامعي على وجه الخصوص، فعلينا ـ شئنا أم أبينا ـ تقبل هذه البصمات النضالية بكل ما تحمله من معطيات وإفرازات سلبية كانت أم إيجابية، لأنها في آخر المطاف أوراقنا المبعثرة في كل أنحاء العالم، وهي في حاجة ماسة لمن يجمع شتاتها ويعيد ترتيبها ويبتعثها حتى يــكون لذكرى 19 ماي المغزى المطلوب والعبرة المفيدة المستخلصة من عناء نضالي طويل وموجع ، توجت جهود أحلامه بذكرى 19ماي 1956 محطة ضرورية لمراجعة الذات والتسلح من جديد بما يلزم لمواكبة المراحل المتتالية.

فما يمكن أن أسجله في آخر هذه الإفتتاحية تذكير القارئ الكريم بملاحظتين أراهما في غاية الأهمية أولاهما: أنني حاولت قدر الإمكان أن لا أثقل كاهله بتفاصيل مشبوهة وأحداث غير مؤسسة، كما لم أعمد إلى التطاول علية بسرد المراجع والمصادر الغربية والتي هي أساسا باللغة الفرنسية، كما أتعهد له أنني لم أبخل بذكر غيرها ساعة مدعاة الضرورة العلمية، وسوف يلاحظ بنفسه أنها اعترافات حية من أفواه من صنعوا ملحمة المسيرة الطلابية الجزائرية الفرنكفونية، أو دراسات آكاديمية كالتي يجد القارئ بعضها مذكورا في ثنايا الدراسة، ذات قيمة علمية معتبرة، قدمت هذه السنوات الأخيرة في جامعات فرنسية معلومة الشهرة.

أما ثاني هذه الملاحظات، وهي الأهم بالنسبة إلي والتي من واجبي أن أذكرها لأنها تنوب عني في تسويغ الهدف والغرض من الإلتفات إلى مثل هذا الموضوع الحساس، وفي مثل هذه الظروف بالذات، أعترف جازما، أن الغرض مهما قيل عنه يبقى بالنسبة إلي غرضا علميا بحتا، القصد من ورائه محاولة متواضعة للكشف عن صفحة مهمة من صفحات مسيرة نضال شعبنا الجزائري ممثلا في شريحته الطلابية المستنيرة إبان الإحتلال الإستيطاني الفرنسي للجزائر؛ ولما أقول الطلابية المستنيرة، أو أنتلجنسيا الأجيال الجديدة؛ فإنني

أعني بها تلك التي حملت على عاتقها بعد خروجها من الجهاد الأصغر مشعل قيادة البلاد إلى يومنا هذا، أو ما يعرف بالجهاد الإكبر على حد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي الاخير يجب أن أنوه بمجهودات المتحف الوطني للمجاهد على اهتمامه بهذا الموضوع الذي يدخل ضمن دائرة نشاطاته في احياء تاريخ ثورة التحرير كما اشكرهم على التكفل بنشر طبعته الثانية المنقحة والمزيدة، وكذلك تحمل أعبائه المادية والمعنوية ليضربوا بذلك مثلا جديرا بالاقتداء، وكفيلا بأن تجزل اليه آيات الشكر والثناء.

الدكتور عبد الله حمادي

تمهيد :

إحصائيات الطلبة الجزائريين الفرنكفونيين المنتسبين للجامعات الفرنسية

تجمع كل الدراسات القديمة والمعاصرة تقريبا على أنه لا يوجد هناك احصاء دقيق، وربما لم يوجد أصلا لعدد الطلبة الجزائريين المنتسبين للجامعات الفرنسية أيام الإحتلال الفرنسي للجزائر، فالإحصائيات الوحيدة المتوفرة توجد في كل من :

(Exposé de la situation général de l'Algérie 1881 - 1960)
(Statistique générale de l'Algérie 1894 - 1929) و
(Annuaire statistique 1925 - 1961) . (1)

والتي لا تأخذ في مجملها بعين الإعتبار احصائيات الطلبة الجزائريين المسجلين خارج جامعة الجزائر المركزية الفرنسية، كما أنه لم يحصل أي اهتمام ولا احصاء من طرف الهيئات الرسمية الاستعمارية بهذه الفئة من الطلبة الجزائريين الفرنكفونيين قبل تاريخ 1959 .

ففي تاريخ 1954 تقول بعض الدراسات على سبيل المثال أن عدد الطلبة الجزائريين في الجامعات الفرنسية، بما فيها جامعة الجزائر كان يعد من القلة

---

1 - (Exposé de la situation générale de L'Algérie1881- 1960)
(statistique générale de L'Algérie 1894 -1929)
(Annuaire statistique 1925 -1961)

بمكان حيث لا يتجاوز عدد الطلبة الجزائريين بالجامعة المركزية الفرنسية بالجزائر 600 طالب من مجموع 1200 طالب في كامل الجامعات الفرنسية ، فجامعة الجزائري المركزية الفرنسية كانت تعد نسبة 11.4 ٪ من الطلبة الجزائريين المسلمين المسجلين بها في حين كان تعداد السكان الجزائريين المسلمين يمثل 89.5 ٪ من سكان أرض الجزائر. هذه النسبة الضئيلة جـــــدا من المـــتعلمين الجزائريين الفرنكفونيين نجدها تصطدم والحقيقة التاريخية التي سجلها الجنرال الفرنسي (Daumas) في بدايات احتلال الجزائر حيث كانت نسبة المتعلمين من الشباب الجزائري تتجاوز 40٪ من سكان أرض الجزائر، وهذا بشهادة الجنرال المذكور آنفا والذي أشرف بنفسه على عملية إحصاء نسبة المثقفين في الجزائر.

هذه الشهادة الاستعمارية على وضعية الثقافة في الجزائر في بداية الإحتلال الفرنسي تنفي عن الجزائر صفة البلد الهمجي الذي تسوده الأمية والتوحش. فالمدارس والكتاتيب والزوايا كانت تولي عناية خاصة بتثقيف الناشئة الجزائريين، وبلغ الحد بهذه المرافق التعليمية، بشهادة المستعمر نفسه، أن وفرت السبل للمتعلمين لمواصلة دراساتهم في الأسلاك الثانوية، وحتى العالية حيث كانت البعثات أو الهجرات التعليمية لكل من فاس والزيتونة والأزهر دائمة التواصل، لكن بعد قرن من الإحتلال الإستعماري للجزائر تقول بعض الدراسات الفرنسية الموضوعية أن الوضع الثقافي في الجزائر شهد ترديا لا مثيل له حيث وصلت نسبة الأمية في أوساط الشعب الجزائري إلى90٪ في حدود 1948 ، و 86.3 ٪ في عام 1954 حين كان تعميم التعليم شاملا ووافيا بالنسبة لجاليات الغزاة الإستعماريين الفرنسيين ومن لف لفهم، ويرجع الدارسون السبب في كل هذا إلى تعسف السلطات الاستعمارية تجاه الأطر التعليمية الجزائرية التي كانت موجودة آنذاك حيث عطلت الزوايا عن آداء مهامها التعليمية والخيرية، وأغلقت الكتاتيب القرآنية والمدارس بحد القانون

الإستعماري الجائر[1] ، وهجر المدرسون بالنفي والحبس والإعدامات فكانت ثمرة العشرين سنة من الاحتلال الفرنسي للجزائر التجهيل بالجملة للشعب الجزائري[2] ، وذلك بشهادة كبار المحققين، وارتفاع النسب المذهلة من الأمية في مختلف طبقات المجتمع الجزائري. الأمر الذي جعل أحد المستعمرين المنصفين ألا وهو Alexis de Tocqueville يأسف للوضع الذي آلت إليه الجزائر من جراء الهجمة الاستعمارية الفرنسية الشرسة على كل ما من شأنه أن يكون مجال استنارة وتبصر، في حين كان آخرون لا يشاطرونه الرأي، بل

---

1 - يقول عمار وزقان في كتابه Le Meilleur Combat في ما فعل الإستعمار بالمرافق الدينية والتعليمية :

L'ennemi colonialiste qui siégeait au vieux - plais abandonne aujourd'hui aux "Chevaliers de la torture" d'alger-sahel, était, lui, beaucoup plus clairvoyant, lorsqu'il détruisait les mosquées, les transformait en casernes ou en écuries... C'étaient des temples en moins, Mais la mosquée était également l'université, comme la zitouna à tunis, la Qaraouine à fez, et Elazhare au caire ? Une mosquée détrinte c'était en moins une médersa, une bibliothèque une salle de conférence, une maison du peuple, une asemblée consultative ou délibérante... Et un conservatoire de musique ou l'on étudiait le tedjuid le plan-chant du kouran dont l'art éxige la connaissance précilable de tous les modes de la musique classique ou populaire, andalouse ou orientale" p : 36

2 - يؤكد عمار وزقان في كتابه LE MEILLEUR COMBAT أنه من الذين ، - إن لم يكن هو وحده - ، حرروا أرضية مؤتمر الصومام :

L'analyse que nous avons faite dans la plate forme d'action du F.L.N (congres de la soumam , 20 aout 1956) ..; p: 24 - 25

يعرف عمار وزقان نظام الإستعمار الفرنسي بقوله :"النظام الكولونيالي منبع للجهالة والظلامية

Le régime colonial , source de l'analphabétisme et de l'obscurantisme

P : 28 le meilleur combat

يعلنون سعادتهم وغبطتهم أمام تدمير المرافق التعليمية، وتجهيل الشعب الجزائري معتقدين أنه بعد تفريغه من محتواه يمكنهم الشروع في تعليمه كما كانوا يقولون: «بعض الشيئ الهام الذي ينفع [1] . فصارت مقولة Duc d'Aumal في خضم هذا التدمير الشامل للكيان الجزائري، بمثابة النبراس حيث تقول «فتح مدرسة فرنسية في أوساط الأهالي (Indigenes) تعادل معركة عسكرية من أجل استتباب الأمن والإستقرار في الجزائر، كما أنها في وسعها تحقيق القناعة في أوساطهم بمشروعية الإحتلال وتعزيز سيادة المستعمر».

من أجل هذا التوجه الإستعماري الرامي إلي إبادة الشخصية الجزائرية توصل بعض الدارسين إلى استخلاص فكرة الرفض التي جابه بها الشعب الجزائري المدارس الفرنسية في بداية الإحتلال، رغم المغريات الكثيرة التي أودعها المستعمر في أوساط الأهالي، حيث اعتبر الباحثون هذا الرفض وجها من وجوه المقاومة التي فتح بها الشعب الجزائري سجله الرافض لسياسة الإحتلال الإستعماري، وهو الأمر الذي سيوضح بجلاء الفشل الذريع الذي منيت به جهود السلطات الاستعمارية طيلة نصف قرن من أجل تعليم من أسمتهم في وطنهم بالأهالي. لكن الدراسات تقول أنه بعد انكسار آخر المقاومات الجزائرية المنظمة عام 1871 جاءت مقولة الأهالي التي تسجلها بعض المصادر الفرنسية والتي مفادها: «نحن الآن نعتبر من المغلوبين وانتم السادة فإذا رأيتم أنه من واجبنا إرسال أبنائنا إلى المدارس الفرنسية فعلنا دون حرج يذكر». وهكذا راح رفض الأهالي الجزائريين للأمر الواقع التعليمي الفرنسي يتضاءل شيئا فشيئا إلى ما بعد الحرب الكونية الأولى، حيث تحول الرفض إلى

---

1 - EMIRIT Marcel : L'état intellectuel et moral de l'Algérie en 1830 Revue d'histoire moderne et contemporaine Juil-Sep 1954.

مطالبة ملحة من قبل الأهالي الجزائريين معلنين حقهم المشروع في التعلم حتى ولو كان في المدارس الفرنسية [1] فكان على إثر هذه الرغبة كما هو معروف تشريع Jules Ferry الشهير الذي ينص على وجوب تعلم أبناء الأهالي. لكن هذا القرار النوعي، وجد معارضة شرسة من طرف المعمرين، حيث كانت أطروحاتهم الاستعمارية تقول: إنه لو فسح المجال لأبناء الأهالي للتعلم فمن أين سنأتي باليد العاملة التي تقوم على خدمة الأراضي الفلاحية؟ وكانوا يدركون في قرارة أنفسهم، كما كانت السلطة الاستعمارية تدرك بدورها، أن الأهالي لو تمكنوا من التعلم فإنهم لن يسكتوا - إن عاجلا أو آجلا - عن المطالبة بحقوقهم في حدود الحقوق المشروعة، كما أنهم لن يترددوا في يوم ما عن إعلان أن الجزائر ليست فرنسية، ولا يمكن لها أن تكون إلا عربية مسلمة. فكانت هذه المخاوف التي ظلت تراود السلطات الاستعمارية من العوائق التي وقفت في وجه تعميم التعليم بين أبناء الأهالي بمختلف طبقاتهم الإجتماعية.

لكن مع كل هذه الإحتياطات ظلت تظهر من حين لآخر بعض الفرضيات التي تشجع على نشر التعليم الفرنسي في أوساط الأهالي وأبرز هذه الفرضيات قرارات الحاكم العام الفرنسي بالجزائر المسمى Jirman والتي كانت تنص على أن كراهية الاهالي للوجود الفرنسي تقاس حدتها بمدى مستوى تعلم الأهالي، فإذا كانوا أميين جهلة فإن كراهيتهم للوجود الفرنسي تكون أعنف وأشرس، في حين لو كانوا متعلمين في المدارس الفرنسية فإن كراهيتهم للوجود الفرنسي ستكون لا محالة ألين وألطف حسب رأيه طبعا. لذا أعلن Emile Félix Gautier قائلا بعد نصف قرن من التحول في السياسة التعليمية الاستعمارية الموجهة للأهالي الجزائريين : «إن المتعلمين من أبناء

---

1 - Colonna Fanny : Instituteurs algeriens , 1883-1939 Presses de la FNSP 1975 . p: 36-37

الأهالي الجزائريين في المدارس الفرنسية هم بمثابة «الخلاسيين ثقافيا» (Métis Intellectuels) ونحن نعلم جيدا القصد من عبارة « خُلاسي» « Métis »، فهي تعني حسب أصولها ؛ ذلك النتاج البشري الذي يحصل ثمرة تزاوج هجين، فالمتعلمون الجزائريون الفرنكفونيون يمثلون ـ حسب رأيه ـ فئة هجينة، إذ لا يمكن اعتبارهم في آخر المطاف لا جزائريين بالمفهوم الشامل، ولا فرنسيين. لذا قال الحاكم العام الفرنسي Naegelen عام 1949 «إن مستقبل الجزائر المسلمة الفرنسية يحضر الآن في المدارس الفرنســـية برغم الأنبياء التعساء » [1].

لكن هذا اليقين المبهم الذي راود المستعمرين في شبه حقيقة «ديكارتية» نجده يتحول إلى فاجعة في الفاتح من نوفمبر عام 1954 فجعل شيخ بلدية (مير) القليعة، المستعمر، يعلن صرخة مدوية قائلا حين رأى التمرد الثوري الجزائري : «هؤلاء هم أولئك الذين أعطتهم فرنسا فرصة التعلم ... سأذكر كل هذا أمام البرلمان الجزائري ،حيث بسبب برنامجه القاضي بنشر التعليم بشكل أفقي في كامل الجزائر، والذي أصبح بموجب قراراته يرسل بمعلمين فرنسيين إلى أقاصي الجبال لتعليم رعاة الماعز كيف ينشدون شعر لافونتين (La Fontaine)، أقول، إنها قمة الجنون!!... فمن الضروري تقليص برنامج التعليم وعدم التمادي في توسيعه أكثر بين الأهالي[2] ...

1 - M.E NAEGELEN : Mission en Algerie Flammarion 1962 p:119
2 - Yves Courriere : Les fils de la Toussaint , Fayard 1968 p:411-412

القسم الأول:

بعض الإحصائيات بالأرقام:

لقد ولدت المدرسة الفرنسية في الجزائر أيام الإحتلال الفرنسي - كما هو معروف - بين نقيضين: موقف الأهالي الجزائريين الرافضين لمغريات هذه المدارس كوجه من وجوه المقاومة، وموقف المعمرين المعروفين باسم الكولون المطالبين باستمرار، وإلحاح بفرض حالة الظلامية والتجهيل على الشعب الجزائري حتى يتسنى لهم استعباده وتسخيره لخدمة مصالحهم، وحتى يظل دائما بعيدا عن المطالبة بحقوقه، لذا تطالعنا الإحصائيات بأرقام مذهلة إذ لم يتجاوز عدد التلاميذ الجزائريين المسجلين في المدارس الإبتدائية الفرنسية عام 1880 ألفا ومائة وخمسين تلميذا (1150)، وفي حدود 1884 ومع قدوم المستشار Jeanmaire المكلف بالسهر على تطبيق قانون التمدرس الممنوح للأهالي، والصادر في قرارات Jules Ferry نجده بعد جهد جهيد يتمكن من إلحاق 10.000 تلميذ من أبناء الأهالي بالمدارس الإبتدائية الفرنسية وهو عدد يشكل نسبة ضئيلة جدا إذا قيس بعدد السكان الجزائريين، حيث لم تتجاوز هذه النسبة 1.9 ٪ من عدد الأطفال الجزائريين الذين هم آنذاك في سن التمدرس. وأثناء مغادرة المستشار المذكور الجزائر عام 1908 ترك 33400 تلميذ جزائري بالمدارس الإبتدائية الفرنسية وهي نسبة لا تتجاوز 4.3 ٪ من مجموع التلاميذ المتمدرسين آنذاك.

وراح هذا العدد يتزايد، ففي حدود 1914 قفز عدد التلاميذ الجزائريين إلى 47200 تلميذ أي بمعدل 5 ٪، وفي حدود 1930 وصل إلى 68000 أي بمعدل 8.8 ٪. أما في حدود 1944 فقد وصل إلى 110000 أي بنسبة تقدر 14.60٪.

أما مابين 1953 ـ 1954 فقد بلغ عدد التلاميذ الجزائريين بالمدارس الفرنسية بالجزائر 302000 و 307000 في العام الموالي؛ أي بما يعادل نسبة 15.4٪. لكن نسبة النمو الديمغرافي السريع لسكان الجزائر جعلت مشروع Jules Ferry لا يلبي حاجيات الأطفال المتزايد عددهم في كل سنة الأمر الذي جعل هذه النسبة الأخيرة تعرف تراجعا بقي يتراوح في حدود 1954 في نسبة لا تتجاوز 13.7٪ من ضمنهم ثلاثة أرباع يحسنون الفرنسية[1].

لكن رغم التحاق بعض الطلبة والتلاميذ من أبناء الأعيان الجزائريين بالمدارس الفرنسية مبكرا، أي قبل تاريخ 1871، فإن عددهم ظل جد محدود، وظل التدرج إلى التعليم الثانوي يعد من الغايات المستحيلة المنال تقريبا، وذلك إلى غاية 1870 حين استقبلت ما يعرف بالمدارس المزدوجة التعليم في كل من الجزائر، وقسنطينة حوالي 671 تلميذا من أبناء الأهالي الجزائريين عكس الثانويات الفرنسية التي ظلت موصدة في وجه أبناء الأهالي في كل من وهران والجزائر وقسنطينة ولم يسجل في هذه الثانويات الفرنسية سوى المحظوظين من أبناء الأهالي الذين تربطهم علاقة خاصة بالإدارة الاستعمارية.

فسجلت إحصائيات عام 1889 واحدا وعشرين طالبا جزائريا(21) بالثانوية الفرنسية، و69 طالبا في سنة 1893، وارتفع عدد المحظوظين إلى 85 طالبا عام 1900 ثم ازداد عام 1905 ليصل إلى 125 وظل التزايد مستمرا حيث سجلت الإحصائيات 180 طالبا عام 1910، وقفز إلى 386 عام 1914 هذا التاريخ توجت الأكاديمية الجزائريين الفرنسيين لأول مرة في تاريخ الجزائر المستعمرة 67 طالبا حاصلا على شهادة البكالوريا في مسيرة تعليمية كما هومعروف انطلقت منذ 1880 من بينهم 29 طالبا حصل على شهادة البكالوريا قبل تاريخ 1910.

1 - Guy Pervillé : Les étudiants Algeriens des universités Francaises (1880-1962) p: 18

بعد هذا التاريخ تزايد عدد الطلبة الجزائريين بالثانويات الفرنسية بشكل يلفت الإنتباه فبلغ 1358 طالبا في عام 1940، وتزايد إلى غاية 1800 فيما بين 1945 ـ 1946، وبلغ 4192 طالبا فيما بين 1951 ـ 1952، وكاد أن يتضاعف عام 1954 فوصل إلى 6260 طالبا، وكان عدد الحاصلين على شهادة البكالوريا من أبناء الأهالي الجزائريين قد بلغ قبل تاريخ 1945 حوالي 300 طالب ووصل إلى 350 طالبا عام 1954.

أما التعليم العالي فقد ظل لا يستقبل إلا عددا ضئيلا جدا من الطلبة الجزائريين المسلمين، وكان على مثل هذه المرافق التعليمية المتخصصة أن تنتظر ظهور المدارس العليا الأربع عام 1879، ثم إنشاء جامعة الجزائر المركزية عام 1909، وكان تعداد نجاح أبناء الأهالي الجزائريين آنذاك قليلا جدا حيث سجلت الإحصائيات 19 حاملا للشهادة العربية، و02 في اللغة الأمازيغية، و06 من حملة شهادة الليسانس في الحقوق وصيدليا واحدا ، وقابلة واحدة من الدرجة الثانية، و11 شهادة P.C.B، ولم يسجل أي نجاح في كل من الفروع العلمية والأدبية وهو ما يترجم قلة إن لم نقل ندرة الطلبة الجزائريين في مختلف التخصصات؛ لأنها كما تذكر الإحصائيات فقد كان مسجلا بهذه المعاهد العليا في حدود 1884 ستة 06 طلبة و50 فيما بين 1907 ـ 1908 في المدارس العليا أغلبهم مدرسيون (Des Medersiens)، أو من مدارس ترشيح المعلمين غير الحاصلين على شهادة البكالوريا.

يضاف إلى هذه الأعداد القليلة جدا تقول بعض الدراسات إن هناك بعض المحظوظين من أبناء الأهالي تمكنوا من مواصلة دراستهم العليا في مدارس فرنسية كالمدرسة العسكرية سان سير (Saint-Cyr Saumur) أو البيطرة في ألفور Alfort، وكذلك في كلية Montpellier و باريس.

ونستطيع القول أن الاستقرار النسبي في وتيرة مواصلة الدراسة بالجزائر بدأ يظهر مع وجود المدارس العليا بالجزائر، إلا أن هذا لم يمنع بعض الطلبة من

الأهالي الجزائريين من الهجرة إلى فرنسا ، ومواصلة تعليمهم هناك، فقد قالت إحصائيات عام 1910 إن عدد الطلبة الجزائريين المنتسبين إلى الجامعات والمدارس العليا الفرنسية قد وصل إلى 25 طالبا حاملا لشهادة جامعية في الطب والمحاماة، أو حاصلا على شهادة التأهيل للتعليم، أو خريج كلية عسكرية في صف الضباط. فكان لظهور هذه النخبة الجديدة صدى كبير في أوساط المجتمع الجزائري الأمر الذي جعل المستشار الثقافي Jules Ferry قبل هذا التاريخ ، وبالتحديد عام 1891، يفاجأ أثناء زيارته لقسنطينة بوجود مستشار سام بالبلدية من الأهالي وهو الدكتور مرسلي المولود عام 1856 ، والذي يعتبر من أوائل ثمار المدرسة الاستعمارية الفرنكفونية التي مر عليها آنذاك ما يناهز النصف القرن من الإنتشار في أوساط الأهالي [1] . وهو المحفز الذي جعل Jules Ferry كما سبق أن ذكرنا، يعمل على تغيير الوضع التعليمي مشجعا أبناء الأهالي على مواصلة دراستهم العليا إلى أن وصل عدد الطلبة الجامعيين الجزائريين بالكليات الفرنسية إلى 61 طالبا عام 1916، ثم عرف استقرارا في حدود 100 طالب في ما بين 1929 و 1932 ، ثم تزايد بعد الحرب العالمية الثانية: فقد قفز العدد من 142 طالبا عام 1940 و1941 إلى 360 طالبا عام 1945 و1946 ، ثم يتزايد إلى 368 في ما بين 1950 ـ 1951.

ونجد من هذا التاريخ وتيرة الطلبة الجزائريين بالجامعات الفرنسية تتواصل، ونسبة الطلبة المسجلين ترتفع ، فتسجل الإحصائيات في ما بين 1951 ـ 1952 ما يزيد عن 442 طالبا و572 في ما بين 1952 ـ 1953 ، وترتفع إلى 513 طالبا في ما بين 1953 ـ 1954 ، وإلى 589 في ما بين 1954 ـ 1955، هذه الأعداد من الطلبة الجزائريين المهاجرين إلى فرنسا تدخل ضمن موجات الهجرة التي سبق أن ذكرنا إنطلاقا من أول هجرة سجلت في حدود 1909 ،

---

1 - HAMET ISMAïL: Les musulmans Français dans le nord de l'Algerie Paris , Puf , 1964. p:126

ثم تواصلت في 1919 وبخاصة عام 1930 كما عرفت تزايدا أكثر في حدود 1946.

و كانت هذه الهجرات الطلابية الثقافية تعرف تمركزا في مدن كباريس، وتولوز، ومونبليي Monpellier، وقرونوبل Grenoble وليون، وبوردو، ونانسي Nancy، وران Rennes، وستراسبورغ Strasbourg، وكاين Caen، وبواتي Poit ier ... الخ.

أبناء الأهالي الجزائريين في المدارس الإبتدائية الإستعمارية من 1880-1954

السنة	عدد التلاميذ	النسبة المئوية من عدد الأطفال الذين هم في سن التمدرس %
1880	1150	-
1884	1000 + 1150	% 01,9
1908	33400	% 04,3
1914	47200	% 05.0
1930	68000	% 08,8
1944	110000	% 14,6
1953	302000	% 15,4
1954	307000	% 15,4

أبناء الأهالي الجزائريين من الطلبة في معاهد التعليم العالي المفرنس

السنة	المعاهد العليا
1884	06 طلبة
1908	50 طالبا
1910	25 طالبا حاملا لشهادة جامعية

أبناء الأهالي الجزائريين من المنتسبين للجامعات والمدارس العليا بفرنسا من 1916-1955

السنة	عدد الطلبة	الجامعات والمدارس العليا بفرنسا
1916	61	
1932	100	
1941	142	
1956	360	
1951	386	
1952	442	
1953	572	
1954	513	
1955	584	

أبناء الأهالي الجزائريين من المنتسبين للجامعات والمدارس العليا بفرنسا من 1916-1955

السنة	عدد الطلبة	المدارس المزدوجة أو الثانويات
1870	271	المدارس المزدوجة
1889	21	الثانويات الفرنسية بالجزائر
1893	69	=
1900	85	=
1905	125	=
1910	180	=
1914	386	=
1914	67 طالبا حاملا على شهادة الباكالوريا	
1940	1358	الثانويات الفرنسية بالجزائر
1945	1800	=
1951	4192	=
1954	626	=
1954	350 طالبا حاملا على شهادة الباكالوريا	

المدارس الكولونيالية الفرنسية:

كانت طريقة إنشاء المدارس الفرنسية أيام الإحتلال الفرنسي للجزائر كما تقول بعض المصادر خاضعة للعشوائية وعدم مراعاة التوازنات السكانية، بل الأكثر من هذا تقول المصادر المذكورة، إنها كانت خاضعة للمصادفة [1]؛ لكن عند تتبعنا لخارطة زرع هذه المدارس ندرك في يسر أن الأمر لم يكن وليد المصادفة، ولا عدم التخطيط كما تزعم هذه الدراسات، حيث إذ سجلت في أعقاب الإحتلال أعدادا معقولة من المدارس الفرنسية بمنطقة القبائل الكبرى حظيت فيها مقاطعة بني يني بالقسط الأوفر، فكانت في تلك المناطق ما معدله مدرسة في كل قرية وذلك منذ عام 1924، في حين لا توجد مدرسة واحدة بسكيكدة على سبيل المثال !.

وراحت سياسة التعليم الاستعمارية لا تأخذ بعين الإعتبار الإحتياجات التربوية الحقيقية لكل مناطق البلاد، بقدر ما كانت تأخذ بعين الإعتبار احتياجات المستوطنات الكولونيالية، حيث كان إنشاء المدارس يراعى فيه احتياجات المعمرين، ومراكز تجمعاتهم، ولكن رغم هذا الحيف فإننا نجد هذه المدارس الاستعمارية تعرف إقبالا متزايدا من طرف أبناء الأهالي الجزائريين، وفي مرات عدة كان يشد لها الرحال كما يقال، الأمر الذي جعل الإحصائيات تسجل لنا معدل خمسة (05) تلاميذ جزائريين مقابل واحد من أبناء المعمرين، ولما لاحظت السلطات الاستعمارية مثل هذا التزايد عمدت إلى كبح هذا الزحف؛ فصارت تكافئ المحظوظين الممتازين من أبناء الأهالي بأقصى ما يمكن أن يطمح إليه أحدهم وهو الشهادة الإبتدائية ثم يحال على إثرها التلميذ الجزائري على الحياة العملية، ومن هناك تقل نسبة التلاميذ الجزائريين في المراحل الأخرى كالإعدادي والثانوي.

---

1 - Guy Pervillé : Les étudiants Algeriens de L'université Francaise p: 23

فبعض المصادر تقول بالنسبة إلى الإعدادي مثلا : أنه يبقى تلميذ جزائري واحد مقابل أربعة (04) فرنسيين، أما في الثانويات والمعاهد فتلميذ جزائري واحد مقابل ستة (06) فرنسيين، وفي شهادة البكالوريا تلميذ جزائري. واحد مقابل سبعة (07) فرنسيين ناجحين. بهذه الطريقة المجحفة راح الشرخ يزداد اتساعا بين رفاق الدراسة المحرومين المطرودين من أبناء الأهالي، والفرنسيين المعمرين المحظوظين، وبعض أبناء الأعيان الجزائريين التابعين للسياسة الاستعمارية، فهذا الميز شكل أولى نقاط القطيعة بين ما يمكن أن نسميه التعايش الثقافي بين مجموعتين من السكان غير متجانستين.

أما فيما يتعلق بالفوارق الشاسعة بين الجنسين الإناث والذكور وحظ كل منهما في الدراسة فالإحصائيات تقول عام 1954 بنت واحدة من أربع ممدرسين ذكور جزائريين، وواحدة من ستة (06) و (07) في التعليم الثانوي، وواحدة من عشرين (20) في التعليم العالي. والإحصائيات النهائية لعامي 1954 ـ1955 تحدد 51 بنتا من مجموع 602 طالبا جزائريا بباريس في عامي 1955ـ 1956 والمتخرجات الأوليات من هذه الدفعات كن يوجهن إلى سلك التعليم أو التمريض أو مولدات. ويبدو أن أول فتاة جزائرية التحقت بالجامعة كانت الآنسة حورية بن عامر وذلك عام 1922، أي بعد 18 سنة من انشاء جامعة الجزائر، ولكن الدليل الإحصائي للطلبة الجزائريين المتخرجين من جامعة الجزائر نجده يهمل ذكرها ولا يعود إلى الإشارة إليها إلا في حدود 1936 ـ1937 .

المسابقات والإنتقاءات المشددة :

إن المدرسة الكولونيالية التي فتحت أبوابها للأهالي الجزائريين منذ 1817لم يكن الهدف منها التلقين الحقيقي للمعارف، أواكتشاف المواهب وتنوير العقول ، بل كان هدفها استعماريا بحتا يهدف إلى تدجين الأهالي وذلك بتقديم أدنى ما يمكن من المعارف المسطحة فالتلميذ لا يتجاوز سن

الرابعة عشرة حتى يجد نفسه خارج جدران هذه المدارس موجها إلى الحياة العملية.

إنها مدارس تعمل على تأهيل يوفر اليد العاملة التي لا تخطئ في العمليات الحسابية البسيطة، ولا في ضبط مواعيد العمل، مع التحلي بالطاعة والإستجابة لما تؤمر به من طرف أرباب العمل من الكولون وغيرهم[1].

لكن رغم الخطوة التي قطعتها المدرسة الكولونيالية أيام مجهودات Jules Ferry ـ والتي شرعت في زرع المبادئ الوطنية الاستعمارية في برامج التعليم لتربي أبناء الأهالي على مثلها، وكذلك تزويدهم بتعاليم التربية المدنية ذات الأخلاقيات الاستعمارية ـ [2] إلا أنها ظلت هي الأخرى محاولة يائسة عاجزة عن تجديد العقل؛ لأنها حاولت عبثا أن توهم أبناء الأهالي بأنها تقدم لهم حظوظا تمكنهم من الحصول على مواقع متميزة في سلم المجتمع المقموع الذي يعيشون فيه متناسية، أو متجاهلة الحواجز الطبقية التي أقرتها وفرضتها السياسة الاستعمارية المنحازة.

لقد أدرك أبناء الأهالي بفعل الممارسة أنهم مهما أوتوا من الثقافة فطبقتهم الإجتماعية معينة، ومن هناك عمدت السياسة الاستعمارية بعد

---

1 - يقول وزقان حول اللغة العربية :

L'énnemi colonialiste était lui beaucoup plus clairvoyant lorsqu'il faisait sans interruption, la guerre a mort à la langue arabe, langue étrangère : lorsqu'il fermait toute école arabe existant dans un rayon de trois Kilomètres autour d'une école française ouverte dans le but de donner un vocabulaire suffisant pour faciliter la direction des ouvriers agricoles comme on apprend aux mulets quelques mots pour rendre leur conduite moins agaçante... p : 37.

2 - HAMET ISMAIL: Les musulmans Français dans le nord de l'Algerie . p :202

فشلها الذريع، إلى تقديم عزاء لهؤلاء التعساء ممثلا في شحنهم بالقوانين المجدة للعمل، و التعاون، وإبراز شرف الحرف مهما كان نوعها حتى يتعلق التلميذ الجزائري المطرود من المدرسة الفرنسية بالعمل كآخر ملجإ له وبذلك يتحول إلى أداة إنتاج وكدح مستمر. إنه في آخر المطاف ضحية منهج تعليمي أسس أصلا على تكريس مبدأ التفرقة والميز. ولم ينج من هذا الشرك الإستعماري إلا بعض أبناء العائلات الكبيرة (Les Fils De Familles) إذ كانوا يواصلون تعليمهم بالإنتقال إلى الثانويات، ومنها التتويج بشهادة البكالوريا التي تحولت إلى إجازة أو وسام من نصيب الطبقات البرجوازية، إن لم تكن الشهادة في حد ذاتها كشهادة على البرجوازية . في حين نجد أبناء الطبقات المسحوقة يوجهون إلى ما يسمى بالتكوين القصير ليتوجوا في آخر المطاف بشهادة التعليم العام (B.E). أما الوصول إلى الثانويات بالنسبة إلى هذه الطبقة المسحوقة من الأهالي الجزائريين، حتى ولو كانوا يتمتعون بذكاء خارق للعادة، فإن أملهم يظل عند حدود مسابقة الإنتقاء العسير المسمى بالسنة السادسة، التي تعتبر الحاجز المانع والواقي من زحف الأهالي إلى المستويات العليا .

أما التعليم في الثانويات فهوغير التعليم في المدارس الإبتدائية من حيث المناهج ومضامينها التربوية والبيداغوجية، فهو يقدم للطلبة ثقافة عامة تهدف إلى تكوين يوفر لصاحبه القدرة على التأطير والتوجيه، لكن ما يلفت الإنتباه في ظاهرة المدرسة الكولونيالية إن بعض الدراسات تتحدث عن تركيز هذه الأخيرة على التمييز في كل شيئ حتى في منح الشهادات .

فمن عام 1892 إلى غاية 1948 كانت المدرسة الإبتدائية الكولونيالية في الجزائر منقسمة إلى شعبتين: شعبة (A) و (B)، الأولى تابعة في مقرراتها إلى نظام التعليم المقرر بفرنسا ، والذي يتابع فيها دراسته لا فرق بينه وبين الذي يتعلم بفرنسا.

والثانية (B) قد أنشئت خصيصا للأهالي ، فالشهادة الإبتدائية الممنوحة لهم فيها غير الشهادة الإبتدائية الممنوحة لشعبة (A)، وكذلك نوعية التدريس والمدرسين، ومثل هذا التمييز نجده يمس حتى مدارس ترشيح المعلمين. لكن ما يسجل أيضا أن شعبة (A) المتميزة ليست محضورة على أبناء الأهالي، فقد سجلت الإحصائيات مثلا أنه في عام 1944 كان يوجد (160.000) تلميذ ممدرس في شعبة (A) من بينهم 40,000 من أبناء الأهالي 0 و29.000 في شعبة Bلذا فاختلاف الشهادات الإبتدائية بين الشعبتين ليس اختلافا في المستوى الثقافي بقدر ما هو اختلاف في محتوى البرامج. ونجد شعبة B تجبر على استزادة سنة كاملة تأهيلية من أجل التلقين المكثف للغة الفرنسية لابناء الأهالي، في حين نجد المعربين يوجهون عادة إلى الحياة العامة، ولما ظهرت بعض الإستياءات من جراء التهميش الذي يعانونه فسح لهم مجال للإستزادة من المعارف لكن في ميادين كالزراعة والأعمال اليدوية أو الحرفية.

إن القانون المؤسس من قبل الإدارة الاستعمارية لهذه الثنائية في التعليم الكولونيالي قد عرف تراجعا بعد أن فشلت نتائجه، لأنه اعتمد الميز والتفرقة ، وتقسيم التلاميذ إلى درجة (A) ودرجة (B)، أو درجة عليا و درجة دنيا. لهذا نجد القانون المؤسس يعدل بفرض إدماج الشعبتين وذلك في تاريخ 5مارس 1948 ، ونفذ القرار من طرف الحاكم العام الفرنسي مارسيل ادموند ناجلين Marcel Edmond Naegelen وزير التربية الوطنية الفرنسية آنذاك .

لكن رغم هذا التعديل ظل طريق التعليم أمام أبناء الأهالي يدور في آفاق المدرسة الإبتدائية، أو مدرسة ترشيح المعلمين، أو ما يسمى بالمدارس العربية المسلمة. في حين بقيت شعبة (A) رغم الدمج الظاهري، هي الموصل الحقيقي والوحيد إلى بوابات المعاهد والثانويات ومنها إلى الجامعات والمعاهد العليا.

المهمة الإندماجية للمدرسة الكولونيالية :

كل الوثائق المحفوظة تذكر بقرار مجلس الدولة الفرنسي الصادر عام 1936والمسمى بقانون شوطن (CHantemps) في عام 1938، والذي ينص صراحة على أن اللغة العربية في الجزائر هي لغة أجنبية، ومن هناك نستطيع القول بأن قانون 5 مارس 1948 المذكور آنفا ـ والقاضي بدمج الشعبتين A وB، شعبة الكولون والأعيان من الأهالي، وشعبة الجزائريين المحرومين ـ يعد في محتواه بمثابة التبشير بسياسة كولونيالية جديدة فيما يتعلق بمستقبل المدارس الكولونيالية الموجهة للأهالي الجزائريين، فهذه القوانين بدأت تمهد لمرحلة جديدة في سياسة التعليم الموجهة والتي ستعرف فيما بعد بالسياسة التعليمية المركزة أساسا على بذر الأفكار الإندماجية بين أبناء الأهالي، وهي الفكرة التي اتخذت قاعدة لانطلاقها معاداة للغة العربية وطرحها خارج الصراع، مع تكريس ظاهرة القطيعة التامة بين الطفل الجزائري ومحيطه الطبيعي وتراثه وتاريخه ومقومات شخصيته. فحسب الطرح الكولونيالي المقدم كبديل فإنه لا يعقل أن تبقى الجزائر خارج ما يسمى بالوطن الأم فرنسا مادامت تعتبر قطعة منها. ومن هناك وجب تطبيق كل ما يعني فرنسا على أبناء هذه القطعة من الأرض. فكل الفرنسيين بما فيهم الجزائريون الذين يعتبرون حسب القوانين الاستعمارية فرنسيين لا بد أن يفرض عليهم تعلم اللغة الأم؛ وهي في هذه الحال اللغة الفرنسية التي تأتي في المقام الأول والأخير. ولم تكتف السياسة الاستعمارية بهذا الطرح المضلل بل عمدت إلى تدعيمه كما هو معروف ببيان صادر عن ندوة مفتشي التعليم الإبتدائي عام 1945 والذي ينص صراحة على وجوب استبدال اللغة الدارجة أو العامية باللغة العربية [1].

وبهذا القرار تم الحكم النهائي على اللغة العربية الفصحى بأنها لغة ميتة،

---

1 - Guy Pervillé : Les étudiants Algeriens de L'université Francaise p: 25

وهو الأمر الذي أثار لأول مرة فكرة طرح بديل عن اللغة العربية الفصحى كمخطط تدريجي للقضاء عليها نهائيا، ومن المصادفات الجارحة أن عددا من الجزائريين التابعين للسياسة الكولونيالية قد أسهم في صياغة مثل هذا القرار الإجرامي[1] وإنجاحه . لذا لا نعجب من سماع فكرة العامية المطروحة عندنا اليوم والتي ينادي بها بعض «الإنتلجنسيا» الجزائرية من ذوي الثقافة الفرنكفونية والفرنكوفيلية، فالأمر يعد بمثابة التواصل الأمين بين أجيال أشْرِبَتْ حب هذه البدائل الشاذة، والتي دعمتها وأيدتها كل القوانين الاستعمارية التي سبقت الإشارة اليها.

لكن مثل هذا الطرح الخطير الذي عرفته سنوات 1935 حتى 1945 قد سبق التمهيد له قصد إبادة اللغة العربية، بكل ما تحمل من تاريخ وإرث حضاري، منذ 1850 تاريخ إنشاء المدارس الثلاثة المشهورة باسم «المدارس العربية المسلمة»، أو «المدارس المزدوجة التعليم»، والتي أنشئت خصيصا لتشكيل الإطار القانوني والثقافي الذي تمارس فيه صلاحية اللغة العربية ، التي يبدو أن الكولون كانوا في حاجة إلى خدماتها . ففي هذه المدارس كانت الإدارة الكولونيالية تحضر الملحقين بالعدالة ككتاب الضبط والتراجمة وكذلك ما يشبه رجال العدالة وكلهم طبعامن الأهالي التابعين إلى السياسة الاستعمارية والذين تنحصر مهامهم في سد ثغرات بعض القوانين الشرعية الإسلامية بما يناسب التطلعات الاستعمارية، وكذلك القيمين على الشعائر الدينية الإسلامية، وبعض معلمي اللغة العربية. فالهدف مما بقي من تعليم اللغة العربية

1- يقول وزقان :

C'est l'expression du patriotisme le plus pur. Nos frères du Liban, les Kurdes arabo-chretiens en ont donné le magnifique et lucide exemple en 1921, lorsqu'ils ont menacé le Vatican de quitter l'Eglise romaine si le pape maintenait son projet de remplacer dans la langue liturgique l'arabe par le latin p: 40-41 le Meilleur Combat. Amar Ouzegane.

في المدرسة الكولونيالية هو تلبية إحتياجات الادارة الاستعمارية بما يلزمها من أعوان وقضايا شرعية توهم بها الإدارة الاستعمارية الجزائريين على أساس أنها ترعاها وتكن لها الإحترام اللائق بمقامها.

ومن الشهادات المخجلة على هذا الوضع المزري الذي آلت إليه أحوال اللغة العربية في الجزائر ما ذكره أحد الأساتذة الفرنسيين والمسمى Robert Malan، والذي كان يدرس بمدرسة تلمسان الفرنسية المسلمة Franco Musulmane انه في عام 1956 كان يوجد من مجموع 11561 معلما أو مساعدا بالمدارس الإبتدائية، 151 مدرسا باللغة العربية في نصيب كل واحد منهم معدل ساعتين اختياريتين (Facultatives) في الأسبوع تقدم إلى 45000 تلميذ. فهذه الخطة الجهنمية جعلت من اللغة العربية فائضا تافها تسبب في موجات عارمة من الإحتجاج من طرف الأهالي، الأمر الذي أجبر السلطات الاستعمارية على التفكير فيما هو أخطر، فأقدمت على إنشاء الأربع ثانويات المعروفة باسم فرنكو مسلمة (Franco Musulman) إثنتان بالجزائر العاصمة - واحدة للبنات وأخرى للذكور - وواحدة بتلمسان وأخرى بقسنطينة، وهي الثانويات التي حلت محل ما يسمى بالمدارس التي أنشأها الحاكم العام ووزير التربية الفرنسية السابق مارسيل ادموندناجلن Marcel Edmond Naegelen، وتصب هذه الثانويات الأربع كما خطط لها فيما سيعرف فيما بعد بمعهد الدراسات العليا الإسلامية (شيء شبيه بالإستشراق لكنه ينشط من طرف جزائريين غالبا ما يكونون مزدوجي اللغة) الذي أنشئ بجامعة الجزائر عام 1946 والمتخرجون من الأهالي من هذا المعهد هم الذين تسميهم المصادر الاستعمارية بالنخبة ذات الثقافة العصرية الكاملة حيث يتوفر في أعضائها غريزة التفتح على الآخر مع الإلمام الشامل والمدقق لخصوصيات موروثها الحضاري العربي الإسلامي.

إلا أن هذا التوقع لا أعتقد أنه قدم النموذج الذي كانت تتوفر فيه هذه

المعايير التي تشير إليها بعض المصادر الفرنسية بما في ذلك صاحب أطروحة الطلبة الجزائريين [1]. لذا كانت إحصائيات عام 1954 تذكر أنه من بين 13.7٪ من الجزائريين المتعلمين والذين يحسنون الكتابة والقراءة كان يوجد 55٪ فرنكفونيا، و 25 ٪ معربا، و20٪ مزدوج اللغة؛ أي أن ما معدله 75 ٪ من المجموع يعتبر فرنكفونيا، هذا إذا أضفنا المفهوم الحقيقي لمعنى طالب فرنكفوني لدى الإدارة الاستعمارية التي تنزله منزلة خاصة ومتميزة على غيره؟!...

المحظوظون من الجزائريين الذين التحقوا مبكرا بالمدرسة الكولونيالية الفرنسية

ما ذكرنا في بداية حديثنا عن ظهور المدرسة الفرنسية الموجهة للأهالي، من أن الشعب الجزائري جابه هذا الحدث التاريخي بالرفض وذلك وجه من وجوه المقاومة كما أجمعت بعض المصادر الاوروبية، ولكن الجزائر بعد تاريخ 1871 تاريخ آخر المقاومات المنظمة، دخلت مرحلة أسمتها المراجع الفرنسية بمرحلة «اندثار الوطنية»، وحل محلها ما أسمته أيضا «ببقايا غبار القبيلة» (Le Poussier De Tribus). لأنها كانت سنوات القهر والقمع والمجاعات والتشرد والإبادات الجماعية.. إنها سنوات الضياع الكبرى، وسنوات العنجهية والهمجية والتسلط الإستعماري الحاقد على التراب والعباد، حيث كشر على أوج جبروته وغطرسته حتى أنه لم تبق أمام الشعب الجزائري من طائلة سوى أحد الإختيارات الصعبة: إما الهروب والهجرة إلى قمم الجبال والإعتصام بها والعودة إلى البداوة الأم، وإما الإلتصاق بالأرض والهواء والقبول بالإستعباد وخدمة السادة الكولون وشذاذ الآفاق الذين أثروا بعد عقم، واستأنسوا بعد

---

1 - Guy Pervillé : Les étudiants Algeriens de L'université Francaise p:26

توحش وهمجية. وأمام هذه الإختيارات الصعبة للشعب الجزائري، وُجدت فئة من أبناء هذه الأرض، تحدثنا المصادر بأنها آثرت طريقا آخر لتجنب الصعاب وركوب المقاومة. فهذه الفئة هي التي سيكون حديثنا عنها مطولا فيما تبقى من هذه الدراسة. لأنها الفئة الحقيقية المنجبة لسرطان الفرنكفونية والفرنكوفيلية بكافة أبعادها المهددة للشخصية الوطنية الجزائرية، هذه الفئة من الأهالي الجزائريين هي التي فضلت ركوب التزلف والعمالة، وأجهدت نفسها لاستعطاف المستعمر علها تحظى ولو بفتات النعيم. هذه الفئة التي سيكون معها حديثنا حين نضطر إلى طرح السؤال الجوهري والجذري على أولئك المحظوظين الذين تيسر لهم سبيل الإلتحاق بالمدرسة الاستعمارية الفرنسية الفرنكفونية منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي. إنها الفئة التي أصبحت تنعت في المصادر الفرنسية بفئة «خدام فرنسا الأوفياء» (Loyaux Serviteurs de La France)، ربما يكون الوضع الإجتماعي المزري هو الذي دفع بهم إلى التشبث بأطراف المستعمر؟ أو ربما هو ضعف النفس الذي لم يمنحهم القدرة على التحصن بالجبال وخشونة الحياة كما فعل أغلب سكان أرض الجزائر؟ وربما هو الهاجس الذي كان يمنيهم بالخروج من طبقة الاهالي المنبوذة إلى طبقة الكولون أو السادة؟ أو ربما هو اليأس الذي أوصلهم إلي الإقتناع بأن القضاء والقدر قد أوفد المستعمر الفرنسي للجزائر وأنذاك فلا راد لقضاء الله؟ كل هذه الإحتمالات تبقى واردة ما دمنا لا نستطيع أن نستل الحقيقة من أفواه من عاشها وعششت في كيانه وورثها الأبناء ويواصل زرعها في الأرض الخراب التي ماتزال مسكونة بتلك الهواجس الغريبة. نقول كل هذا، ويبقى الأمر قابلا للنقاش والتأمل والتدقيق المتناهي في جزئياته وحيثياته حتى لا يترك المجال لهذا «الفيروس» القاتل لمواصلة تحكمه في جسم بلد ووطن مثقل بالجراحات والويلات، بلد يقال له الجزائر. إنها طبقة «القياد» و «البشاغات» وإن كانت الأولى حسب المصادر أكثر عددا وتفشيا، لكنهما عملا معا من أجل هدف واحد وغرض مسطر ألا وهو هاجس الإنسلاخ،

ومحاولة الإندماج في جسم المستعمر الغريب عسى ولعل يعتبرهم في يوم ما، وإن شاء ورضي طبعا ، جنودا منه وإليه...!

هذا العدد من العائلات المحظوظة من الأهالي الجزائريين، والتي باعت ذمتها للمستعمر، واعتبرها في أخر المطاف من خدامه الأوفياء، كان عددهم لا يزيد عن ألفين أو ثلاثة آلاف عائلة على أقصى تقدير كما تقول الإحصائيات الفرنسية [1]. إنها عائلات لم تكن ميسورة الحال إلى درجة الغناء الفاحش، ولا هي من ذوي الجاه، بل ما يمكن أن توصف به هذه العائلات المتواطئة مع المستعمر أنها أرادت أن تغير وضعا إجتماعيا تراه لا يتناسب ومتطلبات حاجيات المستعمر، فالكولون يحتاجون إلى أعوان كعيون ساهرة لا تنام على راحته؛ أعوان من نوع يستطيع التفرقة بين الواجب وتقديس العمل والوفاء للسادة، ثم بعدها قد يحصل على صك الرضى فيدمج في ذيل قائمة الإستعمار الفرنسي تحت شارة الأعوان الأوفياء.. لذا كانت العائلات التي تمكنت من إيصال أبنائها إلى الثانويات الفرنسية، وبعدها الجامعات تعد قليلة إذا قيست بتعداد السكان الجزائريين المسلمين، لكن العدد في الوقت ذاته راح يكتسب خصوصية النوعية. فكما تحدثنا المصادر الفرنسية أن الوصول إلى البكالوريا والجامعة لا يمكن أن يحصل عليه اي طالب من الأهالي الجزائريين ما لم يخضع ملف عائلته إلى فحص دقيق من طرف السلطات الاستعمارية، فإذا كانت سيرة هذه العائلات وسوابقها الذاتية لا تتعارض والمصالح الكولونيالية، كان القبول ميسرا. أما إذا كان عكس ذلك، فبوابات الحياة العامة هي أولى باحتضان هؤلاء الأطفال المعاقبين بجريرة الأباء، فيتحولون إلى يد عاملة رخيصة، مع تقديسها طبعا لشرف العمل كما أوصت به تعاليم التربية المدنية التي جاءت بها توجيهات المستشار جول فري Jules Ferry، والحاكم العام.

---

1 - MARTHE et Edmond Gonrion : Le livre des notables magrhrébins

لكن هناك بعض الطروحات تقول أن هناك من أبناء الخماسة والدواوير والمشاتي من وصل إلى الثانويات، وتحصل على شهادةالبكالوريا، وربما واصل دراسته الجامعية رغم الفقرو الحرمان وحواجز الإنتقاء [1] لكن هذا، إن وجدحقا، فإنه يدخل ضمن منظومة الشاذ الذي لا يقاس عليه. فهذه الفئة الشاذة كما تقول هذه الطروحات إستطاعت أن تفتك المنح المتواضعة التي كانت تخصصها السلطات الاستعمارية لأبناء الأهالي بعد مسابقة عسيرة ودراسة مستفيضة، طبعا، لملف سوابق العائلات.

لكن قرار المسابقة الذي كان ساريا نجده يعرف تعديلا عام 1886 يلغى بموجبه فرض المسابقة من أجل الحصول على المنحة، ولكن هذا التعديل مس أبناء الجزائريين الذين قدموا خدمات معلومة للسلطات الاستعمارية أو لفرنسا كما يقول أحد الباحثين الفرنسيين [2]، وهذه النوعية من الأهالي الجزائريين المعروفة في المصادر الفرنسية باسم «خدام فرنسا الأوفياء» يتشكلون من الباشاغات، والآغات، والقياد والعسكريين الجزائريين الذين يعملون تحت العلم الفرنسي، وعمال العدالة الملحقين بما يسمى كتابةالضبط، والمشرفين على الشؤون الدينيةمن قبل فرنسا، وكذلك المترجمين والمعلمين الذي يدرسون بالفرنسية طبعا، وشبه الأطباء... هذه هي بعض عينات الفئة التي حظيت بامتياز من طرف السلطات الاستعمارية مقابل الواجبات التي تقدمها إلى الأوساط الإجتماعية الجزائرية من أجل الحفاظ على رباط الصلة بين المستعمرين والأهالي، فلمكافأة هؤلاء الآباء عمدت فرنسا إلى احتضان أبنائهم في مدارسها وثانوياتها وحتى الجامعات، مقدمة لهم ثقافة فرنكفونية، وإن شئت فرنكوفيلية انسلاخية واندماجية كالتي يتلقاها أبناء فرنسا. لأن

1- Ferhat Abbas : L'intellectuel musulman. en Algerie (recueil Alger1920

2- Guy Pervillé : Les étudiants Algeriens de L'université Francaise p:32

أبناء هذه الفئة القليلة من الأهالي الجزائريين كما يقر بهذا رئيس الحكومة الجزائرية المؤقتة المرحوم فرحات عباس، والذي هو بدوره ابن «قايد»، واستفاد من منحة الإدارة الاستعمارية المسخرة للأهالي، نجده يقول عام 1947 «إن التعليم الثانوي الذي يعتبر قاعدة التأهيل لمواصلةالتعليم لم يكن ميسراإلا إلى أقلية من الأغنياء الجزائريين... [1] وقد حافظت هذه العائلات على هذا الإمتياز جاهدة، وموزثة إياه كابرا عن كابر كما يقال، حيث أحدث شرخا عميقا في المجتمع الجزائري المحاصر بالفقر والقمع الاستعماري.

وقد تمادت هذه العائلات العميلة من أجل الحفاظ على مكاسبها في التحالف مع طبقة الكولون ضد مصالح الشعب الجزائري، التي كانت هزيلة، ومع ذلك ظلت محل مساومة من طرف الإدارة الاستعمارية. فهذه الفئة المقربة من فرنسا نجد سخطها يتعالى بمساعدة عائلات الكولون لما أقدم الحاكم العام نيجلان (Naegelen) عام 1954 على إخضاع أبناء القياد إلى المسابقة من أجل الحصول على منحة الإمتياز لمواصلة الدراسات العليا فكانت ردود أفعال هذه العائلات الجزائرية المنسلخة عن ذاتيتها كما تسجلها بعض المصادر الفرنسية هي بالأحرف التالية:

" Comment mon fils devra demain obéir au fils du cireur de chaussure "

كيف يمكن لابني غدا أن يفرض الطاعة على أبناء مساحي الأحذية!!![2].

لقد عرفت هذه البرجوازية الجزائرية الصغيرة التي أنشأها الإستعمار الفرنسي تطورا ملحوظا مع الزمن، فصار منها أرباب الأعمال، وملاك الأراضي الشاسعة الذي يمكن اعتبارهم بمثابة الإقطاعيين حتى أصبحوا ينعتون هم بدورهم «بالكولون المسلمين» (Colons Musulmans)، وأصبحت هذه

---

1 - Ferhat Abbas : L'intellectuel musulman en Algerie p:51

2 - Naegelen : Mission en Algerie p:133

الفئة المحظوظة من الأهالي الجزائريين تسمى في المصادر الفرنسية «بالبرجوازية الكبيرة» في مقابل «البرجوازية الصغيرة» المشكلة من الموظفين والملحقين بالإدارة الاستعمارية، وبعض الضباط الصغار وضباط الصف، ورجال العدالة، والقيمين على الشؤون الدينية من قبل الإدارة الاستعمارية والتراجمة وشبه الأطباء والصيادلة وما إلى ذلك... فمن هؤلاء تكون ما يسمى بالطبقة البرجوازية الصغيرة التي تبدو أنها قد نالت حصة الأسد من المنح الاستعمارية المقدمة لأبناء الأهالي الموالين أو المرتبطين مباشرة بالإدارة الاستعمارية، ومن أغلبية أبناء هؤلاء المحظوظين تكون جيل فرنكفوني وحتى فرنكوفيلي أصبحت تنعته المصادر الفرنسية باسم «الرجال الجدد» (Les Hommes Nouveaux)، ومن أغلبية أبناء هؤلاء سيتكون ما سيعرف فيما بعد باسم «جمعية طلبة إفريقيا الشمالية المسلمين» (AEMAN)، وأغلبهم كما ذكرت من أبناء «البرجوازية الصغيرة»، حيث كانت آمال أبناء هؤلاء تنتهي عند الحصول على شهاداتها وعلى إثر ذلك تلتحق بالإدارة الاستعمارية أو بسلك التعليم في مستويات اجتماعية تفوق غالبا مستويات آبائهم، ومنهم من يتوجه إلى الحياة المهنية الحرة (Professions Liberales) كالمحاماة والطب، والصيدلة، وطب الأسنان وغير ذلك من المهن الشريفة والمرموقة والمحترمة. وبتكاثر هذه الفئة من أبناء البرجوازية الصغيرة على مر الزمن، والتي صارت تنعم بالإمتيازات؛ بفضل المهن التي تمارسها تشكلت طبقة جديدة يمكن اعتبارها وسطا بين البرجوازية الكبيرة ـ والتي كان أغلبها جاهلا، لكن بحكم عراقة ولائها للمستعمر ظلت محافظة على مكانتها الاجتماعية بامتيازاتها ـ وبين البرجوازية الصغيرة [1] التي وصلت إلى مستواها بفضل جهودها وإخلاصها في العمل، والولاء لأرباب النعمة في الإدارة الاستعمارية .

1 - voir HAMET .... et André Brochier : Le livre d'or de l'Algerie Alger 1937

إن أبناء هذه الطبقة الثانية، وبعض من الطبقة الأولى هم الذين أصبحوا ينعتون باسم الجيل الجديد [1] الذي كان له الفضل في إرساء قاعدة ضرورة إرسال أبنائه إلى المدارس الكولونيالية ومنها إلى الثانويات والجامعات؛ لأن ظروفه الإجتماعية ومراكزه الوظيفية وولاءه المفرط لفرنسا أصبح يخول لابنائه تحقيق هذه الرغبات، وبدون عناء يذكر، وربما يرجع السبب في ذلك لكونهم سلكوا مثل هذه التجربة وكانت نتائجها بالنسبة إليهم ملموسة وممثلة فيما توصلوا اليه من مكانة اجتماعية في مجتمع تستجدي أغلبية سكانه بالأعمال الشاقة لقمة العيش من فتات الادارة الاستعمارية التي يجود بها الكولون والجزائريون الإقطاعيون، وكذلك فإن تمكن هذا الجيل الجديد من تحصيل مستوى مرموق في الثقافة الفرنكفونية جعله يقتنع بأن السبيل الأمثل لضمان مستقبل أبنائه هو تعليمهم لغة فرنسا حتى يشاطروها الواجبات والإلتزامات ويتقاسموا معها الفوائد والغنائم.

هذه الطبقة من الجيل الجزائري الجديد يعتبرها بعض الباحثين الفرنسيين الطبقة الأكثر تفتحا على الحضارة الفرنسية، وعلى المعاصرة، فهي عكس نظيراتها من الطبقة البرجوازية الكبيرة والصغيرة... إنها الثمرة الحقيقية الناتجة عن التأثر المباشر بالثقافة والحضارة الفرنسيتين، لكن ما يميز أفكار هذه الطبقة الجديدة من الاهالي والمندمجة كلية في الثقافة الكولونيالية الروح الإنتهازية حسب رأي المصادر الفرنسية، فهي في رأيها ترسل أبناء هاإلى المدارس الفرنسية قصد إقتناء وسيلة تعود عليها بشيء جديد يضاف إلى الرصيد المادي المكتسب. فهي طبقة تتعلم من أجل الحصول على الملموس والمربح، ويمكن اعتبارها من هذا المنظور غير متفتحة على المعاصرة الحضارية

---

1 - HARDY Georges : Histoire sociale de la colonisation française Paris 1953 et AGERON : les classes moyennes dans l'Algérie Coloniale ed : Cresm 1980 p : 52-75

بقدر ما هي متفتحة على المعاصرة المادية التي تسعى من خلالها إلى تحسين مستواها الإجتماعي الذي يرى هدفه الأسمى النموذج الكولونيالي، الذي ينتج ويطور ويستهلك ويستغل، دون أن ننفي طبعا عن هذه البرجوازية الجديدة «الجشعة» بعض طموحاتها المشروعة؛ لأنها نالت من نصيب التعليم ما ناله أبناء الكولون والفرنسيين عامة.

فهذا الحاكم العام الفرنسي مثلا موريس فيولات (Maurice Vi-olette)، والأستاذ الجزائري سعيد فاسي الذي ينتمي إلى ما يسمى بالجيل الجديد كلاهما حاصل على إجازة من كلية الحقوق بجامعة الجزائر، فكيف لا يمكنهما أن يتقاسما نفس الطموحات؟[1] لذا جاهر أبناء الأهالي الجزائريون من البرجوازية الجديدة بالتطلع إلى بعض المناصب الحكومية في الإدارة الاستعمارية، لكن لسياسة المستعمر حدود لا يمكن تجاوزها حتى ولو خرج الأجنبي من جلده وتقمص جلدا فرنسيا! بقيت هذه الطبقة من المثقفين الفرنكفونيين الجزائريين تراوح في مواقعها مشدودة بحبال اليأس والأمل، ومن هناك سعت جاهدة بدافع من الإدارة الفرنسية إلى القيام بدور الوسيط لتقريب الشقة بين من تسميهم فرنسا «بالجهلة والبرابرة» [2]، ـ بمفهومها المعنوي وليس العرقي ـ من الأهالي وبين الوجود الإستعماري. إنهم همزة الوصل بين الإستعمار الفرنسي والأهالي الجزائريين الرافضين لوجود الإستعمار، فكانت مهمتهم التي أهلهم لها المستعمر محاولة تهذيب التوحش الذي يسود أوساط الأهالي الجزائريين الحاقدين على الوجود الإستعماري، وكذلك تلطيف روح الكراهية الموروثة في أذهان أبناء الأهالي ـ المسحوقين خاصة ـ تجاه المستعمر. وبالرغم من هذا المجهود النضالي الذي اضطلع به بعض الطلبة الجزائريين لتحقيق رغبات الإدارة الاستعمارية، إلا أنه ظل يعاب على هذه البرجوازية

---

1 - Violette Maurice : L'Algerie vivra -t-elle ? Paris Alcans 1935- p:503

2 -Guy Pervillé : Les étudiants Algeriens de L'université Francaise p: 37

الجديدة المتطورة والمتفتحة على ثقافة الكولون لجوؤها الدائم إلى الأعمال البعيدة عن الأعمال المهنية، الأمر الذي جعل الحاكم العام Naegelen يعمم حكمه لما رأى تفشي مثل هذه الظاهرة المرضية عند النخبة الجزائرية الفرنكفونية المزعومة ليقول قولته الشهيرة «المسلمون والعرب خاصة لا يحبون مطلقا الاعمال اليدوية، فالذين يستطيعون مواصلة تعليمهم من بينهم يصبحون محامين أو أطباء أو صيادلة أو موثقين لكن كمهندسين مثلا فهذا غير وارد.. إنهم يعشقون المهن الكلامية، ومن ثمّ الجدل السياسي العقيم. أما عمل الأرض أو الموارد الأولية فهي حرف تبدو لهم حقيرة وتافهة».

لكن هذا الحاكم قد نسي أو تناسى أن القانون الفرنسي الساري المفعول على مستعمرتها الجزائر والمخصص لتنظيم شؤون الأهالي العامة، والممتد من سنة 1866 إلى غاية 1919 كان لا يسمح للجزائريين مهما كان مستواهم من التحصيل الثقافي الحصول على أي منصب ماداموا غير مجنسين Non Naturalisé، وغير حاصلين على أهلية المواطنة الفرنسية. ومن تاريخ 1919 إلى غاية 1944 ظل القانون الإستعماري يقضي بحرمان الجزائريين من أبناء الأهالي من الوصول إلى المناصب العليا أو مناصب القرار(D'autorité) وكذلك مسابقات الدخول إلى المعاهد المتخصصة العليا كالبوليتكنيك، وسان سير العسكري (Saint-Syr) وذلك بعد قانون 7 مارس 1944 المزعوم والقاضي بالمساواة بين أبناء الأهالي وأبناء الكولون في إعتلاء المناصب العامة.

أمام هذه القوانين الاستعمارية الجائرة نجد المستنيرين الجدد من أبناء الأهالي الجزائريين والمكونين تكوينا فرنكفونيا متينا يصرون على تجاوز الخط الأحمر، وربما كان هذا الإصرار العنيد من الدوافع الحيوية التي جعلتهم لا يترددون في إرسال أبنائهم إلى المدارس الفرنسية، أو حتى المزدوجة بدل المعربة، لأن قناعاتهم أصبحت لا يراودها شك، بعد فشل كل المقاومات الجزائرية، فتوجب إذا التقرب إلى المستعمر الغالب بأي وسيلة كانت والتي

من ضمنها الخدمات والواجبات الضامنة لبعض الحقوق والإمتيازات رغم إجحاف القانون الإستعماري.

وكانت نتائج هذا الطموح وصول بعض الوجوه من أبناء الأهالي الفرنكفونيين إلى مراكز من أمثال أول مهندس زراعي جزائري عام 1914 وهو المدعو قايد حمود الذي تحصل على منصب سام، وكذلك بعض أفراد عائلة ابن شنب، وبوليفة في السلك الجامعي الشبيه بالإستشرا ق، كما تسجل إحصائيات 1950حوالي مائة (100) ضابط جزائري في العسكرية الفرنسية[1] وما بين عشرين (20) و(25) موظفا ساميا في الإدارة الاستعمارية، وستة قضاة.

ومما يسجل أيضا، كمكافأة من قبل الإدارة الاستعمارية لهذه الطبقة الفرنكفونية الجزائرية، وصول أول جزائري من الأهالي وهو شريف بن مشري، ابن آغا، إلى منصب تنفيدي في الإدارة الاستعمارية كنائب والي) (Sous-Préfet وذلك عام 1947 ثم ككاتب عام برئاسة الجمهورية الفرنسية مكلف بالوحدة الفرنسية لدى الحكومة الاستعمارية [2] وقد ظل إلى نهاية حياته المهنية يشغل هذا المنصب بفرنسا. كذلك نجد المسمى صالح بوعكوير خريج البوليتكنيك قد شغل هو الآخر منصب مدير التجارة والصناعة والطاقة بالولاية العامة في مابين 1944 ـ 1961 وقد جاء تعيين هذا الموظف الجزائري الفرنكفوني في الإدارة الاستعمارية ضمن مخطط الوعود التي طالما راهن عليها الجزائريون من أصحاب الثقافة الفرنسية والصادر كما هو معروف في 8 مارس 1944.

وبهذه التعيينات السامية يمكن اعتبار العلاقة بين الإدارة الاستعمارية

---

1 - Robert Aron : Les origines de la guerre d'Algérie - Paris Fayard 1962 p : 332

2 - Guy Pervillé : Les étudiants Algeriens de L'université Francaise p:41

وأبناء الأهالي الفرنكفونيين قد عرفت نقلة نوعية في سلم العلاقة بين المستعمر والانتلجنسيا الجزائرية الجديدة.

أما بعض المثقفين الجزائريين الفرنكفونيين - رغم العراقيل القانونية وعدم توفر المستوى الثقافي الكافي - فنجدهم قد تمكنوا بطريقة أو بأخرى من الإلتحاق بباريس لمواصلة دراساتهم العليا هناك، وأعني بذلك على سبيل المثال لا الحصر، كلا من أحمد بومنجل الذي كان معلما للغة الفرنسية بالسلك الإبتدائي حيث التحق بباريس وتخصص في القانون عام 1931، وكذلك مالك بن نبي والذي التحق بباريس هو الآخر في حدود الثلاثينيات.

أما الصنف الثالث من الطلبة الجزائريين في الجامعات الفرنسية فقد وجد قرارات السلطات الفرنسية بالمرصاد لطموحاته، وذلك نظرا لثقل ملفه بالأفكار السياسية المعادية لمصالح فرنسا، ونذكر هنا على سبيل المثال محمد بجاوي الطالب بجامعة ڤرونوبل (Grenoble) والعضو النشيط في التجمع الديمقراطي للبيان الجزائري

(Union Démocratique du Manifeste Algerien) (UDMA)

حيث صدر في حقه قرار بالإبعاد من طرف وزير الداخلية الفرنسي عام 1953.

لكن هذه الطموحات التي كانت تدفع بالطلبة الجزائريين الفرنكفونيين إلى محاولة التعلق بفرنسا، نجدها دائما تصاب بخيبة أمل، وسوء نية الإدارة الاستعمارية الماكرة، حيث ظلت تكن في قراراتها عداء لهذه الرغبات الجامحة، رغم حاجة الإدارة الاستعمارية الماسة والملحاحة لخدمات هؤلاء الأعوان الفرنكفونيين، ويكفي أن نذكر هنا ما سجله بمرارة صارخة أندري فرنقا (André Fargeat) في (Vie Intellectuelle) من شهر مارس 1955 متأسفا على موقف الإدارة الاستعمارية وكاشفا لها عن حقيقة جديدة يمكن أن تشكل خطرا وتحولا نوعيا في العلاقة اللغوية والثقافية والحضارية التي

تربط فرنسا بهذه النخبة من الجزائريين الفرنكفونيين والمتشبعين بثقافة المستعمر فيقول متسائلا: «ماذا بقي أمامهم يا ترى - يقصد الفرنكفونيين الجزائريين - سوى التوجه إلى الوظائف الحرة أو إلى السياسة؟ ولما يقول السياسة هنا طبعا يعني بها مناهضة السيادة الفرنسية على الجزائر، وكأني به يقول للإدارة الاستعمارية من باب النصيحة عليك بالتغيير، وهو كذلك يلمح للإختيار الصعب الذي قد يواجه مصير هذه النخبة التي تعبت فرنسا من أجل توصيلها إلى ما وصلت إليه، فهو ينعى على فرنسا إجبار هؤلاء اللطفاء ركوب طريق المعارضة لمصالح فرنسا إذا دعت الضرورة إلى ذلك[1].

لكن هذه الطبقة المستحدثة من البرجوازيين الجزائريين والمتشبعة بالثقافة الفرنكفونية نجدها في العديد من المرات تلجأ إلى تهديد السلطات الاستعمارية سواء بطريقة مباشرة أو بطريقة تلويحية، لكن تهديداتها كما تقول بعض المصادر ظلت لا تزعج فرنسا ولاتحرك لها ساكنا، وذلك لسبب بسيط هو كون هذه الطبقة التي تعلمت في المدارس والجامعات الفرنسية أصبحت تقريبا لا تمت بصلة لوسطها الإجتماعي الحقيقي لا ثقافيا ولا اجتماعيا، وحتى لغويا، تتحدث بلغة لا يفهمها الشعب الجزائري المحكوم بقانون الأهالي (Indigenat) والمنبوذ من طرف السلطات الإستعمارية، لذا تؤكد المصادر الفرنسية على وقوع هذه الفئة المستنيرة من الجزائريين الفرنكفونيين بما يشبه العزلة أو انفصام الشخصية، بل تذهب هذه المصادر إلى أبعد من هذا، حيث تتهم هذه الفئة، بالإضافة إلى جشعها، بأنها صارت تمارس الأنانية المفرطة، بل الأدهى من ذلك أنها لم تجد - حتى في إختيار الزوجة - المرأة المناسبة من الأهالي التي تشاركهم حياتهم وتشاطرهم المستوى الثقافي، الأمر الذي دفع العديد منهم إلى الزواج من الفرنسيات أمثال عباس فرحات،

---

1 - Guy Pervillé : Les étudiants Algeriens de L'université Francaise p:44

وشريف بن حبيلس، وأحمد بومنجل، ومالك بن نبي وهذا ما جعل بعض المحللين يتكهن لهم بحياة معزولة عن عالمين يعتقدون أنهم ينتمون إليهما؛ عالم فرنسا الذي تربطهم به اللحمة الثقافية الفرنكوفونية، وعالم الجزائر الذي انسلخوا عنه بحكم غربة اللسان والكيان والمهنة كما يقول اوقستان بيرك Augustin Berque [1]، ونجد في المقابل الظروف التاريخية تعمل في تيار معاكس لاحلام هذه النخبة ونجد الشعب الجزائري يلتف من حين إلى آخر حول شباب نابع من أوساطه المسحوقة، ولايملك المستوى الثقافي ولا المكانة الإجتماعية كالتي تتمتع بها الطبقة الفرنكفونية، أو ما يسمى تجاوزا بطبقة الأنتلجنسيا الجزائرية المستنيرة، لكن هؤلاء الشباب، النابع من الأوساط المحرومة، نجده يتحدث اللغة نفسها، ويحمل الهموم والمعاناة نفسيهما التين يعانيهما الشعب الجزائري.

بعد هذا الشرح المدعوم بالحقائق التاريخية الموضوعية يبقى السؤال الضروري الذي يجب طرحه ـ كما تساءل بعض الباحثين ـ حول الدوافع والأسباب التي أدت بالعديد من الطلبة الجزائريين إلى الإلتحاق بالمدارس الفرنسية، أو باختصار حول الاهداف الاساسية الكامنة وراء سر الاقبال على تعلم اللغة الفرنسية دون غيرها، ونقصد هنا بالطبع، إزدراء اللغة العربية والاستغناء عنها؟ لقد ذكرنا شيئا من الإجابة عن هذا السؤال المحرج والمتجدد، لكن المراجع الفرنسية تذكرنا بأن سر توجه الطلبة الجزائريين إلى الجامعات الفرنسية بدل جامعة الجزائر كان الدافع من ورائه رغبة الطالب الجزائري في كسر ذلك الحاجز النفسي الذي يفصل بينه وبين الطالب الفرنسي، فهجرة الطالب الجزائري إلى فرنسا كان الدافع من ورائها الحصول على ثقافة فرنسية حقيقية، والجلوس جنبا إلى جنب مع صانع مهزلة الإستعمار الرازح في

1 - Augustin Berque: Les Intellectuels Algériens Revue africaine 1947.

ديار الجزائر والمعشش في محيطها الإجتماعي والثقافي، وربما باختصار أكثر، هي محاولة جادة وجريئة للبحث عن الأسلحة الأكثر نجاعة ليس من أجل مقاومة المستعمر ولكن من أجل فرض التعايش معه والإندماج فيه حتى تتقاسم الحقوق والواجبات بين الجميع. من هنا كان التواجد الطلابي الجزائري بفرنسا لافتا للانتباه برغم المصاعب الجمة التي لم تخفها حتى المراجع الفرنسية.

إنه البحث المضني من طرف الطالب الجزائري الفرنكوفوني عن حقيقة (La Vraie France)، أو حقيقة فرنسا كما يقر بذلك أحد الطلبة الجزائريين القدامى الذي كان مقيما بباريس في شهر فيفري من عام 1953. إنه الطالب الفرنكوفوني إبراهيم بن عبد الله حيث «يعترف أن الحياة في باريس أسهل والميز العنصري والعرقي بها أقل»، مثل هذا الدافع نجده متكررا منذ أعوام 1946 عند غالبية طلاب شمال إفريقيا حين فضل بعضهم باريس بدل الجزائر، لأن بها كما يقولون أساتذة أكثر كفاءة من أساتذة المستعمرة وهناك بامكانهم معرفة فرنسا الحقيقية بلد العدالة والحرية والمساواة والتخلص النهائي من الاحكام المبنية على التلاقي غير الشرعي بين الجزائري والفرنسي على أرض الجزائرالمستعمرة، لان هناك كما هو معروف لدى الجميع الميز والاحتقار من الامور اليومية مما يصعب أمام الطالب الجزائري حتى وجود غرفة أو ملجأ يقضي فيه سنوات الدراسة. فكما يقول فرحات عباس في نشرية التلميذ «لايتم كراء غرفة إلى (Un Bicot) وفي المقابل نجد السلطات الإستعمارية تعقد من شروط إلتحاق الطلبة الجزائريين بفرنسا حتى لا يكونوا سببا في إطلاع الرأي العام الفرنسي والطلابي منه على وجه الخصوص على كل أنواع المجازر والأعمال الإجرامية والقمعية التي ترتكبها فرنسا في مستعمرتها الجزائر.

إنها محاولة منع الجزائري من توصيل الحقيقة للفرنسيين النزهاء والشرفاء - إن كان منهم طبعا من تتوفر فيه مثل هذه الأخلاقيات - فكان

انشغال الحاكم العام بظاهرة هجرة الطلبة الجزائريين إلى فرنسا يقظا جدا وكانت الظاهرة في حدّ ذاتها محل متابعة ودراسة وتقص لمختلف التطورات الفكرية والسياسية التي تظهر على الطلبة الجزائريين وهم بالمهجر.

فالطالب الجزائري الفرنكفوني ظل مصرا على الإهتمام بفرنسا، ولكنه في الوقت ذاته ظل غير عابئ بهواجس الإستعمار كما تقول بعض المصادر الفرنسية، وربما هذه اللامبالاة كانت من بين المثبطات لطموحاته وظل مصرا على اختيار باريس وأحيائها الجامعية ليدمج ولو شكليا في محيط أقل ميزا أو أقل إنشغالا بما يدور في أجوائه. إنه الضياع بحثا عن الحقيقة، أو بحثا عن الذات للتخلص من الذاتية التي توجد لدى المحرومين فكان كما قال مالك بن نبي أحد هؤلاء الباحثين عن حقيقة فرنسا في كتابه (Vocation De l'Islam) «إن الطالب الجزائري لم يكتشف أوروبا بل اكتفى أمام هذا العجز بالإنزواء في القراءة والتعلم والحفظ ولكن دون فهم لحقيقة الأشياء» [1]، لقد توصل إلى قناعة هي أن فرنسا التي يعيشها في باريس هي نفسها فرنسا الممثلة في الحاكم العام والكولون في بلده الجزائر، وما الحقوق والمساواة وما إلى ذلك من قوانين الحياة سوى وعود على الورق لا تعرف الصلاحية حين يتعلق الأمر بتطبيقها على الأهالي، ومن هناك تولد لدى الطالب الجزائري الفرنكوفوني خاصة والمغاربي عامة ضرورة البحث عن هياكل تنظيمية تقيه شر الميز واللامساواة، وكذلك، لمواجهة هذا الأمر الواقع الذي لايمكن السكوت عنه؛ لأن التجربة أثبتت أنه مهما حاول الطالب الجزائري الإقتراب من شخصية الفرنسي أكثر فإن الفارق يظل شاسعا واستحالة الاندماج فيه تظل امرا مستحيلا.

---

1 - Maleck Ben Nabbi : vocation de l'Islam Paris p:123-151

القسم الثاني :

التنظيمات الطلابية الجزائرية الفرنكوفونية :

من خلال الدراسات التي اهتمت بهذا الجانب التنظيمي من حياة الطلبة الجزائريين سواء في المهجر أو داخل الجزائر فإنها تحدد ثلاثة أصناف رئيسة لها :

1) التنظيمات العامة (A . G) المشكلة في كل جامعة ابتداء من تاريخ 1877 والتي تجمعت كلها في حدود 1907 لتشكل ما يسمى (UNAEF) بالاتحاد الوطني للتجمعات الطلابية بفرنسا ويتحول فيما بعد إلى (UNEF)، الاتحاد الوطني للطلبة بفرنسا، الذي حاول جمع شمل كل الطلبة على إختلاف توجهاتهم السياسية والاجتماعية والدينية وذلك للدفاع صفا واحدا عن حقوقهم المشتركة.

أما الطلبة الجزائريون فإنهم بالاضافة إلى انخراطهم في هذا التجمع العام انتظموا في وحدة أخرى أصبحت تعرف بجمعية الطلاب المسلمين لشمال إفريقيا (AEMAN)، حيث ظهرت كتنظيم في الجزائر عام 1919 وظهرت في شكل جمعية الطلاب المسلمين لشمال افريقيا بفرنسا (AEMANF) في عام 1927[1]، وظلت هذه التنظيمات الطلابية بعيدة عن السياسة إلى سنوات مابعد الحرب العالمية الثانية. لكن مايلاحظ على نشاط هذه الجمعيات الطلابية أن التنظيم الطلابي الجزائري بفرنسا كان أكثر نشاطا وحيوية حيث تمكن في

---

1 - voir Guy Pervillé : Les étudiants Algeriens de L'université Francaise p:57-59

ظرف سنوات من إنشاء نادي طلابي، ومكتبة ومطعم وتعاونية، وكذلك إنشاء مايسمى بدار الطالب كل ذلك من أجل تحسين الوضع الاجتماعي والثقافي للطالب وتحضير المناخ الملائم لاستقبال إخوانهم الوافدين باستمرار إلى فرنسا، كما تمكنت جمعية الطلبة الجزائريين من إصدار نشرية الجزائر الطالب (ALger - Etudiants) التي حافظت على وتيرة الصدور طيلة أعوام (1922 ـ 1939)، كما أصدرت جمعية الطلبة الجزائريين بالجزائر دوريتها هي الأخرى المعروفة باسم «التلميذ» وذلك عام 1931.

ازدادت وتيرة ظهور الجمعيات الطلابية الفرعية وذلك بعد مؤتمر ڤرونوبل Grenoble عام 1946 حيث تبنى المؤتمرون فيه ولأول مرة «ميثاق النقابة الطلابية» الدولي وبتبني الطلبة الجزائريين لهذه الافكار النقابية الجديدة تحولت مطالبهم الاجتماعية إلى أفكار يشتم منها رائحة السياسة الى درجة طرح قضية السيادة الوطنية الجزائرية والرد بعنف على مقولة الجنرال بيجو الشهيرة «الجزائر قد تم اغتصابها بحد السيف والعربة».

"L'Algerie déjà conquise par l'epée et par la charrue".

هذا التوجه الطلابي الجزائري الجديد جعل إتحاد الطلبة الفرنسيين يعاين هذا التحول الخطير بشيء من عدم الرضى والرفض، لأن أملهم كان عريضا في هذه النخبة المسماة في الوثائق الفرنسية باسم «انتلجنسيا» المسلمة الفرنكفونية التي ظهرت كبديل يعوض «خدام فرنسا الاوفياء» المعروفين باسم «العمائم القديمة» (Vieux Turbans) فيقول الحاكم العام جول كامبو (Jules cambon) (1891 ـ 1897) في حق هذه الانتلجنسيا الفرنكوفوينة (Intelligentsia Musulmane Francophone) «إنهم بمثابة هيئة أركان مشكلة من مثقفين جزائريين مسلمين مهمتهم لعب دور الوسيط بين السياسة الكولونيالية الفرنسية والأهالي الجزائريين، وقد أكدت على هذا التوجه المنوط بهذه النخبة صحيفة (Le Temps) فيما بعد عام 1904 مصرة على ضرورة وجود طبقة جزائرية فرنكفونية مثقفة لتقوم بدور الموطد للتقارب بين الجنسين

الفرنسي والجزائري. ويستمر التأكيد والالحاح الاستعماري على انتهاج مثل هذه السياسة الرامية الى الاندماج الثقافي فيقول الحاكم العام الفرنسي جونار (Jonnart)عام 1908 «إنه من مصلحتنا العمل على خلق نخبة مثقفة من الأهالي القادرة على الاستجابة لافكارنا التقدمية والعادلة ... إننا في حاجة الى برجوازية محافظة تساعدنا وتسهل لنا تنفيذ مخططاتنا » [1] وبعد هذا التخطيط الإستعماري الهادف إلى تقسيم الشعب الجزائري ثقافيا وأيديولوجيا ظل التأكيد على إنجاح مثل هذا المخطط من قبل الحاكم العام موريس فيوليت (Mauriceviolette) وذلك عام 1932 معتبرا الطلبة الجزائريين الفرنكفونيين خير وسيلة للقيام بدور التأثير في محيطهم الأصلي.

هذا التوجه في السياسة الاستعمارية جعل جمعية الطلبة المسلمين تثير قضية الطلبة الجزائريين المرتدين الذين اعتنقوا المسيحية بدل الاسلام، وكذلك قضية المتجنسين Naturalise التي يوجد أعضاء قياديون منهم في جمعية الطلبة المسلمين، وفي الوقت ذاته في الاتحاد الوطني للطلبة الفرنسيين بحكم أنهم مواطنون فرنسيون، لكن جمعية الطلبة المسلمين فضلت بعد نقاشات حادة المحافظة على وحدة الصف وتمسكت بهؤلاء حتى ولو كانوا مرتدين ومتجنسين، وهذا من العوامل المسببة في ظهور كل من جمعية الطلبة المسلمين بفرنسا (AEMAF) وجمعية الطلبة المسلمين بالجزائر (AEMA) أين انتخب الطالب الجزائري المسيحي والمرتد عمار نارون (Amar Naroun) نائبا لرئيس الجمعية قبل أن يصبح رئيسا لها في السنة الموالية، وقد أظهرت هذه الجمعية توجها مشبوها حين انتخب لها رئيسا شرفيا وهو موريس فيلوليت (Maurice violette). وبعد عام 1932 نجد جمعية المعلمين الأهالي، وكذلك الطلبة الجزائريين الموجودين بباريس يدافعون ويتضامنون مع رفيقهم

---

1 - Charles Robert Ageron : Les Algériens musulmans et la France (1871-1919) Paris. PUF. 1968. p : 451.

المدعو حنفي لحمك (Hanafi lahmek) مؤلف كتاب معاد للإسلام وداعيا فيه بصراحة إلى الإندماج مع فرنسا، وهوالكتاب المعروف بعنوان «رسائل جزائرية» (Lettres Algeriennes) مع مقدمة لموريس فيوليت الاستعماري، ونشر هذا الكتاب المعادي للإسلام بباريس عام 1931. وقد تعرض هذا الكتاب إلى ردود شديدة من طرف جمعية العلماء المسلمين وعلى رأسهم الرد المشهور في جريدة «الإقدام» للأمين العمودي (عدد 10) 1931/9/15. وقد توسعت هذه الجمعية الطلابية لتفتح صدرها للطلبة الفرنسين المقيمين بالجزائر وينتهي بها المطاف إلى إنشاء ما سيعرف «بالجمعية الفرنسية لطلاب شمال إفريقيا» (Associaton Francaise des étudiantsNord-Africains)؛ وهي جمعية مفتوحة لجميع الطلبة بغض النظر عن مشاربهم السياسية والأيديولوجية والجنسية والدينية، وقد وافقت هذه الجمعية على المشاركة بباريس في إنشاء ما سيعرف باسم «نادي أنتلجنسيا البحر الأبيض المتوسط» (Cercle Intellectuel de la méditerranée) حيث خصص هذا الأخير لإستقبال كل الطلبة الوافدين من شمال إفريقيا. إنه باختصار نادي الإندماجية الثقافية في إطار اللغة الفرنسية والثقافة والحضارة الفرنسيتين، ولعل كلمات فرحات عباس تكون خير معبر عن التوجه الطلابي الجزائري الإندماجي حيث يقول وهو أحد المساهمين في هذا الإنجاز «نعمل في إطار القانون وتحت إشراف فرنسا العظمى لكي نرفع من مستوى مجتمعنا». لكن هذا التوجه الإندماجي للطلبة الجزائريين نجده ما يفتأ يعيد النظر في كثير من قناعاته ويلاحظ ذلك جليا في نشرية الطلبة «الجزائر الطالب»، إلا أن رد السلطات الإستعمارية كان سريعا وحاسما وواضحا فجاء على لسان مدير نشرية «الجزائر الطالب» (Pierre Malaterre) حين قال «لايهمنا أن نعرف أنكم طلبة مسلمون يكفينا فقط أن نعرف أن ثقافتكم فرنسية، كما أكد على أن توجه الجمعية يبقى مفتوحا ليندمج فيه الجنس والدين بحيث لايوجد عندنا ما يسمى بطلبة مسلمين ولا مسيحيين ولاإسرائيليين ولا

لائكيين لكن يوجد في جمعيتنا طلبة فرنسيون فحسب». ونلاحظ كذلك ما يشبه القناعات لدى السلطات الإستعمارية في كون أن الطلبة الجزائريين من بين إخوانهم المغاربة والتونسيين هم أقرب وألصق بالثقافة الفرنسية وقد أكد على هذه القناعات عميد جامعة الجزائر الفرنسية جورج هاردي (Georges Hardy) عام 1934 حيث قال: «إن طلابنا المسلمين - ولايقول الجزائريين طبعا - يبدو لي أنهم أكثر وعيا من إخوانهم المغاربة والتونسيين، إنهم أكثر التصاقا باللغة الفرنسية في حين لا يزال الآخرون من تونسيين ومغاربة يحلمون بنهضة قد تمس اللغة العربية وعلومها في يوم ما»[1] وربما جرّ هذا التوجه في السياسة الإستعمارية الطلبة الجزائريين والفرنكوفونيين للتعبير في دوريتهم «التلميذ» بأنهم «مسلمون وفرنسيون في الوقت نفسه».. وكم كانت فرنسا تخشى على هؤلاء الطلبة الإندماجيين من التقرب من جمعية العلماء المسلمين، لأنها كانت ترى في هذا التقارب - لو حصل - سيكون بمثابة «الهجوم الموحد بين محمد - صلى الله عليه وسلم - وديكارت على فرنسا» هكذا تقول بعض المصادر[2].

لقد كانت فرنسا تخشى على نفسها من اجتماع الروحانية الإسلامية والعلمانية الديكارتية ممثلة في ثقافة الطلبة الجزائريين الفرنكوفونيين، لكن هذا التخوف الإستعماري نجده يترجم إلى واقع حين كتب المسلم الشاب (Le Jeune Musulman) في 30 جويلية من عام 1954 على إثر مؤتمر جنيف أن الطالب الجزائري مدعو الى الإلتحاق بصفوف الثورة ضد الوجود الإستعماري.

أما في الجزائر فكانت الحركة الطلابية الجزائرية البربرية تزحف بزعامة الصادق هجرس حيث تشكلت في عام 1949 في مكتب مشترك مع الحزب الشيوعي الفرنسي (P.C. A) و (UDMA) وكان الصراع كله يدور حول من

---

1 - Guy Pervillé : Les étudiants Algeriens de L'université Francaise p:96

2 - Augustin Berque l'Afrique Française, mars 1935 p : 147

يظفر بثلاثمائة طالب (300) مسلم جزائري، الثلث منهم مع حركة انتصار الحريات الديمقراطية (MTLD)، والثلث مع الحزب الشيوعي. لكن الوحدة بين المتنافسين تواصلت طيلة أعوام 1950ـ 1951 تحت قيادة رابح كربوش (UDMA) وبعدها انتقلت في سنة 1951 ـ 1952 تحت قيادة بلعيد عبد السلام (MTLD)، ولكن في بداية سنة 1952 ـ 1953 تم الدمج في إطار (UDMA) في غياب الشيوعيين. وبعد سنة نجد كل من (UDMA) والحزب الشيوعي يجمعان على انتقاد أسلوب التسيير الذي ينتهجه بلعيد عبد السلام المتهم بتوحيد الصفوف الطلابية تحت إطار جديد سيعرف باسم (UGEMA) «الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين».

لكن ما تجمع عليه الوثائق أن الصراعات الإيديولوجية كانت حادة بين الإتحادات والجمعيات الطلابية الجزائرية الفرنكوفونية إلى درجة أن بعض الدراسات تعزو هذا إلى المشارب الثقافية والوضع الإجتماعي للشرائح الطلابية حيث يصنفونهم إلى مجموعات منها البورجوازية التي تعيش في رفاهية وتفضل التمتع بحياتها الشبانية أيام الدراسة الجامعية، ومنها المنكمشة والمنطوية على نفسها والساعية إلى التحصيل الدراسي غير عابئة بما يدور حولها؛ لأنها تعتقد في نجاحها ضمانا لمستقبلها، ومنها صنف آخر وهو اللا منتمي سياسيا، وما بقي من هذه الاصناف عدد قليل. كانت الصراعات على أشدها بين عناصره، مما جعل الرأي العام ينعت هذه الطبقة من الطلبة الجزائريين الفرانكفونيين والمتصارعة من أجل الزعامة والظهور، أقول: ينعتها بالبورجوازية الانتهازية والأنانية التي تعاني من مركب التعالي بحكم ثقافتها الفرنكفونية التي جعلتها تعيش بعيدة عن الواقع وتتصارع على مثل لا تمت بصلة إلى واقع الشعب الجزائري المتأهب لخوض حرب التحرير [1].

---

1 - Guy Pervillé : Les étudiants Algeriens de L'université Francaise p:114

الطلبة الجزائريون المسلمون الفرنكفونيون وثورة التحرير 1954 ـ 1962 :

تجمع كل المصادر على أن الطلبة الجزائريين الفرنكوفونيين بمختلف تنظيماتهم الطلابية ومشاربهم الفكرية والسياسية لم يلبوا نداء الفاتح من نوفمبر عام 1954، وقد تواصل إبتعادهم عن المسار الثوري إلى غاية ماي 1956 كما هو معروف حيث التحق بعضهم بصفوف جبهة التحرير والبعض الأخر بجيش التحرير، لكن مساهمتهم في ثورة التحرير أخذت أشكالا مختلفة من الأساليب النضالية التي عرفت مراحل من أبرزها مرحلة التجنيد العام للطلبة الجزائريين من أجل الالتحاق بالثورة المسلحة، والنضال السياسي في شهر ماي 1956 وأكتوبر 1957 الكثير منهم إلى الدراسة والتحضير في القواعد الخلفية لمستقبل الجزائر. لكن هذه التنظيمات الطلابية قبل اتخادها لمثل هذه القرارات الحاسمة كان عليها أن تصفي حساباتها القديمة والجديدة وتفصل في إشكالية الصراع الذي كان على أشده بين التنظيمين البارزين آنذاك ألا وهما: التنظيم الطلابي المعروف باسم (UNEA) الاتحاد الوطني للطلبة الجزائريين، والتنظيم المعروف باسم (UGEMA) الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين. أما سبب هذا الصراع الفضيع والمرير فهو حرف «M» أي المسلمين.

الصراع الطلابي الجزائري الفرنكفوني من أجل حرف «M» اي [المسلمين] :

كان الرفض قاطعا والعداء سافرا من طرف الاتحاد الوطني للطلبة الجزائريين (UNEA) لظهور حرف «M» (المسلمين) في الشعار المحدد لهوية الطلبة، وعكس هذا التصور جاء إصرار أنصار الاتحاد العام للطلبة

المسلمين الجزائريين الذين طالبوا بضرورة إثبات هذا الحرف «M» حتى يتسنى للاتحاد الطلابي الجزائري التميز بهويته. وكما نعرف من خلال المسار التاريخي لهذين التنظيمين المتصارعين أن الإتحاد الوطني (UNEA) كان سباقا في الظهور في شكل تجمع طلابي يضم كل الشرائح الطلابية الجزائرية الفرنكفونية وذلك منذ عام 1953 وبالتحديد في شهر ديسمبر بباريس، وكان برنامجه أوميثاقه ينص على الانفتاح على مختلف الشرائح الطلابية من أصل جزائري ولديه قناعات بضرورة استقلال الجزائر لكن دون تمييز عرقي أو ديني؛ أي إنه اتحاد لائكي يحمل نفس الافكار التي يحملها الحزب الشيوعي الجزائري سليل الحزب الشيوعي الفرنسي، أو بتعبير آخر يترسمون في برنامجهم خطى الحزب الشيوعي الجزائري. وقد حاول الاتحاد الوطني (UNEA) تنظيم مؤتمره بفرنسا عام 1954 لكن الحزب الشيوعي الفرنسي الوصي رفض المقترحات المزمع تقديمها في هذا المؤتمر والتي يأتي في مقدمتها عمل الاتحاد الوطني على تنصيب نفسه ناطقا باسم كل الطلبة الجزائريين، أو مشكلا لنواة الاتحاد العام للطلبة الجزائريين، لكن الحزب الشيوعي الفرنسي الوصي كما ذكرت، رفض مقترحاتهم لأنه كان يخطط لبديل آخرطويل المدى ويعمل على توطيد البرنامج الذي سيتكفل بمستقبل الطلبة الجزائريين .إنه كان يفضل تشكيل تنظيمين بدل تنظيم واحد؛ تنظيم للطلبة الجزائريين الفرنكولايكوشيوعيين بفرنسا، وتنظيم آخر بالجزائر قد يكون مفتوحا حتى للمسلمين، لكن هذا المخطط الفرنسي نجده يصطدم ومشاريع اتحاد الطلبة الجزائريين بباريس (UEAP) الذي كان قد جلب إلى صفوفه العديد من الطلبة الجزائريين وذلك بفضل تطور نشاطاته الثقافية المغرية والمساعدة الفرنسية المغطية لاحتياجاته وكذلك خطابه المندد بكل مظاهر القمع التي يتعرض لها الشعب الجزائري، فبهذا الخطاب تمكن هذا الاتحاد من جلب العديد من الطلبة الوطنيين من جمعية العلماء المسلمين وبعض العناصر المنتمية سياسيا إلى (MTLD)، بالإضافة طبعا إلى قاعدته المشكلة من

الفرنكولايكوشيوعيين، لكن هذا المخطط وجد مقاومة ومعارضة شديدة من طرف رئيس جمعية الطلبة المسلمين لشمال افريقيا (AEMAN) بلعيد عبد السلام مسؤول الجناح الطلابي (MTLD) والذي انتقل إلى باريس خصيصا لمكافحة هذا المخطط منذ 1953 حتى يفرض التوجه الجديد الذي سيعرف بالاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين (UGEMA) كما ذكرنا سابقا؛ اي فرض حرف (M) (المسلمين) في شعار الاتحاد وكان الهدف من هذا الصراع محاولة عزل الطلبة الجزائريين الفرنكولايكوشيوعيين التابعين للحزب الشيوعي الجزائري والعاملين تحت وصاية الحزب الشيوعي الفرنسي والمترددين في تبني الفكرالثوري المناوئ لفرنسا، وفي الوقت ذاته يدخل ضمن أهداف هذا الصراع العمل على التقرب من جمعية العلماء المسلمين ممثلة في احمد طالب الابراهيمي وفي شخص الناطق باسم الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري (UDMA) عياشي ياكر الذي ابعد من مكتب جمعية الطلبة المسلمين لشمال افريقيا (AEMAN).

على إثر هذا النشاط المكثف توجت المجهودات بالنداء الذي وجه من طرف جمعية الطلبة المسلمين في 27 فيفري عام 1955 لكل الطلبة يحثهم على الإنضمام والمشاركة في تشكيل الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين (UGEMA) فأرسلت المناشير لهذا الغرض إلى كل التجمعات الطلابية كما أوفد مبعوثون لشرح هذا الغرض من أمثال محمد الصديق بن يحيي والأمين خان وكلاهما، كما نعرف، مناضل في صفوف (MTLD)، وبهذه الحملة الدعائية المنظمة تمكنوا من إقناع العديد من الطلبة المنخرطين في الاتحاد الوطني (UNEA) وكسبهم إلى صفوف التنظيم الجديد. كما توسع هذا النداء ليعم كافة الجمعيات الفرنسية ويحسم النزاع في الأخير حول حرف (M) وذلك في الندوة التي إنعقدت بباريس من 4 إلى 7 أفريل عام 1955 حيث بلغ الصراع أشده بين أنصار نزع حرف (M) «المسلمين» من الشعار بحجة ضرورة إنفتاح الإتحاد على كافة الشرائح الطلابية الجزائرية بغض النظر عن

جنسهم وعرقهم ولغتهم ودينهم؛ فالجزائر في آخر الأمر كما يزعمون «هي للجزائريين بغض النظر عن أصلهم»، في حين كانت حجة أنصار حرف (M) «المسلمين» في هذا المنعرج التاريخي أن الطالب الجزائري لا يمكنه قبول الاندماج مع غيره من الفرنسيين الجزائريين سواء كانوا أبناء الكولون، أو المرتدين أو المتجنسين أو حتى الشيوعيين واللائكيين الإندماجيين؛ لأن الجزائري بأبسط حجة له كيان وشخصية تميزه عن كل الشرائح المذكورة آنفا، وله فوق هذا ثوابت وثقافة وتراث حضاري حرم منه طيلة الزمن الاستعماري، فمن العدالة والمنطق أن تعاد إليه كل هذه الخصوصيات وبعدها يمكنه أن يتضامن مع غيره من الاتحادات الطلابية الأخرى من أجل الحقوق المشتركة بين الاتحادات الطلابية. فحجة أنصار حرف (M) أن الطالب الجزائري في مثل الظروف التي يعيشها آنذاك في أمس الحاجة إلى استرجاع شخصيته المسلوبة والتي تمثلها لغته العربية ودينه الاسلامي وحضارته العربية الاسلامية، وبهذه الحجج الدامغة حسم النزاع لصالح أنصار حرف (M)، لكن هذا الإنتصار لم يكن حاسما كما تقول المصادر لأنه بقي معلقا ومشروطا بوجوب حذف الحرف (M) من شعار الاتحاد بعد أن تحصل الجزائر على استقلالها، وفعلا انتزع حرف (M) المزعج بالنسبة للفرنكولايكوشيوعيين، والمريح بالنسبة للوطنيين وذلك في عام 1963 في بداية الاستقلال مباشرة، واستعيدت التسمية الفرنكولايكوشيوعية واندماجية تقريبا ليصبح اتحاد الطلبة الجزائريين يعرف منذ ذلك الوقت باسم (UNEA) الاتحاد الوطني للطلبة الجزائريين ويفسح المجال آنذاك للم شمل الجميع تحت هذا الشعار كل وقناعته السياسية والايديولوجية والثقافية ولتتظافر جهود الإخوة الأعداء على ما سيسمى بالشروع في مرحلة بناءالجزائر وتشييدها.

يبقى في آخر هذا الصراع إمكانية طرح سؤال محرج، ولكن لانريد أن نجيب عنه في هذه المناسبة ومفاده: هل ياترى بالإمكان أن نبني مشروع مجتمع معتمدين في إنجازه على عناصر متناقضة قد أثبت مسارها التاريخي

والفكري انتماءها إلى مشارب مختلفة؟ سؤال نرجئ طرحه إلى مناسبات أخرى...

لكن قبل الانتهاء من هذه المرحلة من الصراع الطلابي الجزائري حول الهوية الاسلامية للاتحاد يجب التذكير ببعض المناورات الفاشلة التي لجأ إليها الاتحاد الوطني للطلبة الجزائريين قبل اندماجه في صفوف الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، فقد عمد بعض الطلبة الجزائريين الفرنكولايكوشيوعيين [1] إلى ركوب المواجهة وعملوا ما استطاعوا على إفشال المؤتمر العام للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، ودعوا إلى مؤتمر مواز بباريس حيث استجابت أقلية طلابية من بعض الجامعات الفرنسية كجامعة باريس وتولوز وديجو وتور ومونبيلي وقرونوبل، لكن المؤتمر المنشق انتهى بفشل ذريع ولم يبق أمام أنصار هذا الاتحاد سوى الالتحاق بصفوف الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين (UGEMA)؛ لأن قلة عددهم جعلتهم في آخر الأمر لايمثلون إلا أنفسهم وبذلك اندمجوا مكرهين داخل إطار من سيصبح الممثل الشرعي والوحيد للطلبة المسلمين الجزائريين المساندين لمبدأ وقرارات الفاتح من نوفمبر 1954.

برنامج الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين (UGEMA):

بعد الانتصار المؤقت الذي أحرزه أنصار حرف (M) على إخوانهم الرافضين له، شرع التنظيم الجديد في التحضير لمؤتمره التأسيسي حتى يكتسب صبغة الشرعية، وقد تم التحضير لهذا المؤتمر من طرف لجنة دائمة، وانعقد

1 - "Si nous étudions le marxisme, écrit Mao Tsétong, ce n'est ni pour sa belle littérature, ni parce qu'il possède une magie que sert a conjurer le diable. Il n'est ni magique ni beau; il est utile, tout simplement". p : 13 LE MEILLEUR COMBAT

المؤتمر بباريس في ما بين 8 و 14 جويلية من عام 1955 بقاعة التعاضدية (Mutualité) وذلك بحضور شخصيات ثقافية وسياسية مرموقة، وممثلين عن الاتحادات الطلابية بما فيها الاتحاد الوطني للطلبة الفرنسيين (UNEF) ممثلا في شخص نائب رئيسه روبار شابوي (Robert chapuis)، وفي هذه المناسبة التاريخية قدم الاتحاد العام للطلبة الجزائريين (UGEMA) برنامجه في الخطاب الإفتتاحي [1] الذي تلي من طرف أحمد طالب الابراهيمي حيث استعرض أمام الحضور الخط الرئيس لبرنامج الاتحاد الجديد حاضرا ومستقبلا، وتمت المصادقة على هذا البرنامج من طرف المؤتمرين، كما تمت تزكية قارئ هذا البرنامج ليتولى رئاسة الاتحاد في مسيرته القادمة التي تنتظره.

أما محتوى هذا الخطاب فقد ورد من ضمن أهدافه المرسومة أن أعضاء الاتحاد الجديد يعتبرون أنفسهم جزءا لايتجزأ من الشبيبة الجزائرية، كما لايمكن لهذا الاتحاد أن يبقى بمعزل عما يعانيه الشعب الجزائري في كفاحه ضد الاستعمار الفرنسي، ومن ضمن ماورد أيضا أن الطلبة يعانون الحرمان من لغتهم العربية الأم التي صارت محظورة في وطنهم واجنبية بين أبنائه؛ هذه اللغة كما يقول البيان تحمل وراءها زخما حضاريا يطالب الطلبة الجزائريون بإعادة الاعتبار له ووضعه الموضع اللائق به في إطار ما يسمح به القانون، والذي يعني جعل اللغة العربية تدرس لكل الجزائريين بمختلف أعمارهم ومستوياتهم وفي مختلف نواحي الجزائر ومناطقها. هذا بصفة عامة الخط الرئيس لبرنامج الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين والذي ـ كما يلاحظ ـ يتمحور حول ما نسميه اليوم بالثوابت الوطنية، وبحق الجزائر في تقرير مصيرها مع إفساح المجال للطلبة الجزائريين لاحتلال المكانة التي يخولها لهم مستواهم الثقافي.

---

1 - Guy Pervillé : Les étudiants Algeriens de L'université Francaise p:120-125

وقد جاء التأكيد في ختام هذا البرنامج على قناعات الإتحاد الممثلة في تقديره واحترامه للثقافة الفرنسية خاصة والأوروبية عامة؛ لأنها ستكون لا محالة مسعفا لهم للدخول إلى مجالات العالم المعاصر، كما أنهم لا يخفون مخاوفهم من هذه الثقافة الفرنسية التي جعلتهم كأيتام بين عالمين : عالمهم الحقيقي الذي انقطعت صلتهم الثقافية واللغوية والحضارية به، وعالمهم الثقافي الأوروبي الذي يشكل أمرا واقعا في حياتهم والذي لم يقبل - رغم ما بذلوا من مجهودات - بإدماجهم في كيانه الحضاري وظل رافضا لطموحاتهم ولم يمكنهم حتى من الحقوق التي تفرضها الواجبات؟ ...

ومما ورد في برنامج الإتحاد العام للطلبة الجزائريين ما يشبه التعهد لفرنسا وهو القيام بدور همزة الوصل في المستقبل بين الحضارتين العربية الإسلامية والفرنسية الأوروبية

(Un Trait D'union Entre Les Deux Civilisations)، والتعهد كذلك بالعمل كي تظل الثقافة الفرنسية جنبا إلى جنب مع أختها العربية الإسلامية وذلك بدافع حسن النية والرغبة في استمرار هذاالتزاوج التاريخي المثمر بين الحضارتين. ويختم اتحاد الطلبة الجزائريين المسلمين برنامجه، الذي جاء كما هو معروف من خلال تاريخ المؤتمربعد اندلاع ثورة التحرير التي جرت وراءها الشعب الجزائري إلى الإختيار الصعب، أو بتعبير أحد الثوار: ألقت بين أحضان الشعب بقضيته ليتولى بنفسه الدفاع عنها حتى ولو كان مكرها... أقول كان على المؤتمرين أن يختموا برنامجهم بما يشبه الإعتذار لفرنسا ولاصدقائهم من ذوي الثقافة الفرنسية، وذلك أنهم أصبحوا أمام موقف تم الفصل فيه في غياب جلهم، وما موقفهم المنتظر إلا انعكاس محتوم لأمر واقع رمى بالجزائر في مصير من اختيار غالبية الشعب ، فلم يبق أمام الإتحاد من رأي منتظر سوى مشاطرة رأي وموقف من خططوا لحرب المصير التاريخية؛ إنهم بايجاز شديد أمام قضاء لا رادّ له ولو حاولواتغييره للعنهم اللاعنون من أبناء وطنهم من الشعب والمناضلين والمجاهدين الشرفاء...

الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين و مستقبل الجزائر السياسي :

بعد تاريخ المؤتمر التأسيسي دخل اتحاد الطلبة الجزائريين المسلمين في معترك المشكلات السياسية للبلاد، ولم تسعف الاحداث الإتحاد القيام بدور الوسيط أو همزة الوصل بين فرنسا والجزائر كما تعهد في برنامجه، فأحداث 20أوت بالشمال القسنطيني، والرد الإستعماري العنيف في شكل إبادة جماعية للأبرياء، والتدمير الشامل للقرى والمداشر، جعل الطلبة الجزائريين يرفعون لائحة تنديد شديدة اللهجة للسلطات الفرنسية الرسمية محذرين إياها من مغبة التمادي في سفك دماء الأبرياء والقمع الوحشي، ولم يستفق الإتحاد العام للطلبة الجزائريين المسلمين من هذه الصدمة حتى وجد المتابعة والإغتيالات تمس عناصره، فتم إيقاف بعض الأعضاء من طرف البوليس الفرنسي بحجة التآمر على السياسة الفرنسية والتحريض على التمرد والعصيان، والتشجيع على حمل السلاح، فكان ضحية هذه التوقيفات مثلا الطالب الجزائري محمد رشيد عمارة، الذي ألقت عليه الشرطة الفرنسية القبض في 7 ديسمبر 1955، بحجة أنه كان يوزع مناشير تحريضية تهدد بالموت الجزائريين الذين تحدثهم أنفسهم بالمشاركة في الإنتخابات التشريعية، التي ستقام في الثاني من شهر جانفي 1956 ، بالإضافة إلى هذا التوقيف فقد تم العثور على جثة الطالب بلقاسم زدور بالقرب من الجزائر، والذي سبق أن تم اعتقاله من طرف البوليس الفرنسي بوهران في 06 نوفمبر 1955 الأمر الذي دفع بالإتحاد إلى الإعلان عن يوم إضراب واحتجاج وتوقف عن الدراسة والأكل وذلك في 20جانفي 1956، مطالبين باطلاق سراح إخوانهم الطلبة المعتقلين وفتح تحقيق حول ظروف اغتيال الطالب بلقاسم زدور ومعاقبة مرتكبي الجريمة مع المطالبة أيضا بالحد من المداهمات والإعتقالات والقمع والإعتراف بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره، وكذلك فتح حوار مع ممثليه الحقيقيين.

هذا تقريبا محتوى النداء الصارم الذي وجهه الطلبة المسلمون

الجزائريون للسلطات الإستعمارية، لكن رد هذه الأخيرة كان كما هو متوقع، حيث كان أعنف بل شمل حتى الطلبة المغاربة، بالإضافة إلى انحياز الطلبة الفرنسيين إلى جانب مواقف بلدهم مما كان سببا في توسيع شقة القطيعة بين الطلبة الجزائريين والفرنسيين، أي باختصار، كل انحاز إلى مواقعه الطبيعية.

لكن موقف الطلبة الفرنسيين من الإتحاد العام للطلبة الجزائريين المسلمين لم يقف عند هذا الحد، بل وصل انحيازهم إلى متابعة بعض المثقفين الفرنسيين من ذوي الرأي الحر، ونذكر على سبيل المثال الأستاذ الفرنسي مندوز Mandouze المعروف بتعاطفه مع جبهة التحرير وذلك منذ أن نشرفي) Consciences Maghrébines) مجموعة من مقالاته [1] التي تحتوي على تصريحات لعبان رمضان موجهة إلى بيير مانديس فرانس Pierre Mendés France. ثم إقدام هذا الأستاذ على توجيه النسخة باسم المقاومة الجزائرية إلى الشعب الفرنسي علنا في 28جانفي 1956 وذلك من فوق منصة قاعة التعاضدية Mutualité بباريس، وبعد شهر عاد الأستاذ المذكور لمواصلة التدريس بجامعة الجزائر لكنه فوجئ بحضور لجنة (CAU) تبلغه بقرار عزله من كل الجامعات الفرنسية وذلك بسبب تعاطفه مع القضية الجزائرية. وكان تاريخ 6 مارس 1956 يوما مشهودا في حرم جامعة الجزائر حيث عاد الأستاذ إلى مدارج التدريس، فأسفر هذا الحدث عن مشادات شرسة بين الطلبة الفرنسيين وأعضاء الإتحاد العام للطلبة الجزائريين المسلمين الذين تكفلوا بحماية الأستاذ الفرنسي مندوز المستهدف، وتمادى موقف الطلبة الفرنسيين إلى أن انتهى بإجلاء هذا الأستاذ ومغادرته الجزائر إلى جهة غير معلومة.

مثل هذه الأحداث وغيرها بدأت تؤشر بجدية على أن الوضع بجامعة الجزائر لم يعد يحتمل أكثر، مما دفع بالإتحاد العام للطلبة الجزائريين المسلمين

---

1 - Andre Mandouze : La revolutiön algerienne par les textes edition maspéro 1961 p: 280-288

(UGEMA)إلى الرد على كل هذه الإستفزازات والتحرشات بالدعوة العاجلة إلى عقد مؤتمرهم الثاني والذي حدد تاريخ انعقاده ما بين 24 و30 مارس بباريس وتم الإجماع فيه حول قاعدة المطالب المشروعة التالية:

- اعتبار الإستعمار الفرنسي مصدرا مسؤولا عن تجهيل وفقر الشعب الجزائري.

- اختيار الشعب الجزائري لسبيل النضال يعتبر اختيارا مشروعا.

- المطالبة باستقلال الجزائر.

- اعتبار سياسة القمع والحرب التي تمارسها فرنسا لا تزيد إلا في تكريس القطيعة بين الشعبين.

- المطالبة باطلاق سراح كل المناضلين.

- المطالبة بفتح الحوار مع جبهة التحرير الممثل لنضال الشعب الجزائري[1]

وكعادة الطلبة الجزائريين المسلمين الفرنكفونيين في مواقفهم تجاه فرنسا فانهم ختموا البيان على لسان قارئه آنذاك محمد خميستي بتوجيه العتاب واللوم إلى فرنسا التي استقبلوا من ثقافتها كل شيء في حين جعلتهم يستدبرون بلا شيء حيث حرمتهم حتى من مقومات شخصيتهم. وردا على هذه القرارات سارع اتحاد الطلبة الفرنسيين إلى عقد مؤتمره ما بين 5 و 15 من نفس السنة، وكان لانعقاد هذا المؤتمر المفاجئ فرصة لبقايا أعضاء الإتحاد الوطني للطلبة الجزائريين المنحل (UNEA)، الشيوعيين واللائكيين والفرنكفليين للمطالبة بالتعجيل بالقطيعة النهائية مع الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، ومع كل التنظيمات الطلابية الجزائرية المتواجدة وراء البحر والمتضامنة مع هذا الأخير، لكن الإتحاد العام للطلبة الفرنسيين، الذي هو

---

1 - Bruno Etienne : Les étudiants Algeriens en lutte, Tunis (UGEMA) 1960 p:41-43

..يد الموقف والوصي تقريبا على التشرذم الطلابي الجزائري الملحق بأذيال .رنسا، يفرض خطة عمل أدت إلى خروج المؤتمر بموقفين:

الأول: إدانه المواقف الوطنية للإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائر (UGEMA).

الاخير: إجبار الإتحاد العام على احترام الحريات الجامعية.. لكن الإتحاد الطلابي الفرنسي نجده يحافظ على شعرة معاوية كما يقال، ويدرج في .وصياته أنه يتعهد للإتحاد العام للطلبة الجزائريين المسلمين بأنهم إذا تخلوا عن مواقفهم فانهم لن يدخروا جهدا في مساندة مطالبهم النقابية المشروعة.

لكن ما زاد في توسيع شقة القطيعة بين الطلبة الجزائريين والفرنسيين هو صدور قرار الوزير روبير لاكوست(Robert Lacoste) القاضي بغلق مجال فرص العمل أمام الطلبة الجزائريين المسلمين وربما هذا القرار الأخير الذي طالما علق عليه الطلبة الجزائريون الفرنكوفونيون آمالا عراضا هو الذي سيعجل بهم إلى اتخاذ القرار الحاسم والنهائي، هذا إذا أضفنا اليه ظهور خبر في وكالة الانباء "Associeted Press" يعلن بأن الطلبة الجزائريين المسجلين بالجامعة الإسلامية بتونس ويقصد الزيتونة - وصلهم من بن بلة وخيذر بيان يعرض عليهم فيه مناصب محافظين سياسيين بجيش التحرير ويحثهم على الإسراع للإلتحاق بالثورة [1]. هذان الحدثان ربما هما اللذان عجلا بلقاء أعضاء الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في نادي سعدان بعد أن خاب أملهم في السلطات الفرنسية، وكذلك أصدقاؤهم الطلبة الفرنسيين، ثم ظهور شبح المعربين الذين استدعوا من تونس لتسلم مناصب قيادية في ثورة التحرير، ربما كانت هذه الأحداث ضمن مسار أحداث أخرى هي المؤشرات القوية

1 -Guy Pervillé : Les étudiants Algeriens de L'université Francaise p:127

والموضوعية الدافعة بقيادة الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين (UGEMA) إلى ضرورة اتخاذ قرارهم الحاسم قبل فوات الأوان، والذي جاء كما هو معروف بعد انتظار في 18 ماي 1956 حيث أعلن عنه في النادي المذكور. وكان فحواه الإضراب العام والشامل واللامحدود عن الدراسة والإمتحانات، واختيار الإلتحاق بصفوف جيش التحرير وجبهة التحرير، فوزعت مناشير في هذا القبيل على كل الجهات المعنية متضمنة للنداء التاريخي المعروف والمذكّر للرأي العام ولفرنسا باغتيالاتها في صفوف الطلبة، وإمعانها في قمع الحريات ومواصلة المداهامات، رافضين بالمناسبة الشهادات التي تمنحها فرنسا إليهم على كاهل جثث الأبرياء من أبناء وطنهم، ورافضين كذلك مستقبلا سيكون على حطام المدن والقرى والمداشر الجزائرية الخالية من أهلها، فكيف يمكن اعتبارهم كوادر للغد في مثل هذه الظروف؟.

من هناك جاء إعلانهم النهائي على أنهم يفضلون الموت إلى جانب إخوانهم على الحياة دون معنى. ويقال أن أول فوج من هؤلاء الطلبة قد التحق بعد ثلاثة أيام من موعد اللقاء بصفوف جيش التحرير، في حين تنفي بعض المصادر هذا الخبر وتقول إن المؤتمر القاضي باتخاذ مثل هذه القرارات الجريئة لم يكن شرعيا في غياب التمثيل الطلابي، كما أن الإجماع المزعوم الذي حصل لم يكن حقيقة لأن هناك عددا كبيرا من الممتنعين عن التصويت، كما وجدت الأصوات المعارضة لهذه القرارات بشكل ملحوظ. كل هذا حدث في الجزائر طبعا، وفي نادي سعدان، لكن ساعة انتشار الخبر في الجامعات الفرنسية فإنه لم يحصل على الإجماع، بل كان المنطلق السائد في الأوساط الطلابية الجزائرية أن مثل هذه القرارات كانت بإيعاز من جبهة التحرير التي كانت تدير الأحداث من وراء الستار، وفي الوقت ذاته تهدد كل من تسول له نفسه رفضها، لذا كانت حرية الإختيار بالنسبة للطلبة الجزائريين في مثل هذه الأجواء جد صعبة، والعدول عن تبنيها يبقى أصعب وأخطر على حياة

الطالب [1]. و يؤكد هذا الرأي تقريبا ماورد في بيان «الصومام»، أو في ورقة العمل التي نصت صراحة على عدم ارتياح قيادة جبهة التحرير من موقف الطلبة الذين بقوا مكتوفي الأيدي رغم النداء الموجه إليهم من طرف اتحادهم في شهر ماي 1956 [2].

مثل هذه المواقف الطلابية المتخاذلة هي التي أدت بالإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين إلى تجديد النداء بعد ثلاثة أشهر، وخاصة أن السلطات الإستعمارية عمدت إلى إجبار بعض الطلبة على الإلتحاق بمناصب إدارية في الدوائر الإدراية المتخصصة (SAS) للعمل كأعوان بها. كما تذكر المصادر إقدام العديد من الطلبة على استئناف دراستهم وامتحاناتهم، وتذكر كذلك بعض الذين سارعوا بعدحصولهم على شهادة الباكالوريا إلى الإلتحاق بباريس، حيث الإختفاء عن رقابة أعضاء الإتحاد الملتزمين والنشيطين. وفي آخر المطاف تجمع الدراسات على قلة العدد الطلابي الذي لبى نداء الإتحاد العام للطلبة الجزائريين المسلمين، وهو عدد تنعته بعض المصادر باسم(LES SUIVISTES) التابعين أو المنقادين، في حين تسجل المصادر موقفا إيجابيا للمنخرطين في سلك (AJEM) «جميعة الشبيبة الطلابية الإسلامية» التي تضم الثانويات والمعاهد حيث كانت استجابتهم لهذا النداء أكثر حماسا والتحاقهم بالثورة وبجيش التحرير كان أكثر من الطلبة الجامعيين. وقد جاءت نهاية هذا الإضراب كما هو معروف على إثر قرار من جبهة التحرير وذلك في 3 أكتوبر 1957، كما صدر على إثره قرار من الحكومة الفرنسية يقضي بسحب شرعية التمثيل الطلابي للإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين (UGEMA) وذلك في 28 جانفي 1958.

---

1 -Guy Pervillé : Les étudiants Algeriens de L'université Francaise p:129-130

2 - Congrés de la Soummam , plate-Forme : EL Moudjahide 4/11/1956

الإديولوجيا الفرنكوفونية للطلبة المسلمين الجزائريين :

تؤكد بعض المصادر أن الحديث عن الوطنية لدى المثقفين الفرنكفونيين الجزائريين تعتبر ظاهرة متأخرة في أوساطهم إذا قيست ببقية الشرائح الإجتماعية التي انحازت منذ زمن مبكر إلى الحركات المسلحة، أو الحركات التمردية أو الإنضمام إلى أحزاب أو جمعيات سياسية من أمثال حزب نجم شمال إفريقيا الذي يضم وراءه شريحة العمال الجزائريين المغتربين والذين يشكلون ما يمكن تسميته بالشريحة الإجتماعية المحرومة أوالجاهلة، وإذا كان أحد المثقفين الفرونكفونيين قد بادر منذ زمن مبكر إلى إعلان انتمائه الوطني إلى الجزائر فهذا يعد في حكم الشاذ الذي لا يقاس عليه، وأعني به «القبطان» الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر خريج المدرسة العسكرية الفرنسية سان سير، حيث تذكر المصادر أن هذاالأخير قد بادر بصفة فردية إلى مراسلة الرئيس الأمريكي ولسن (WILSON) طالبا منه التدخل من أجل استقلال الجزائر وذلك في حدود 1919[1] لكن مايمكن استخلاصه من هذا الحدث المعزول عدم إمكانية تعميمه؛ لأنه كان مبادرة فردية من أحد المثقفين الفرنكفونيين، في حين تؤكد المصادر أن ظاهرة الوطنية (Nationalisme) الجزائرية قد ظهرت خارج محيط «الانتلجسنيا الفرنكفونية الجزائرية»[2] لقد ظهرت في أوساط العمال المجندين وراء أفكار حزب نجم شمال افريقيا، أو عند أتباع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وهذه الشرائح كانت لا تخفي استياءها وتنديدها بتقاعس المثقفين الفرنكفونيين الجزائريين إلى درجة أنها في بعض الأحيان كانت تصفهم بالخيانة، وبحمل أفكار غربية ومستوردة ودخيلة على الهموم الحقيقية التي يعاني منها الشعب الجزائري، وكذلك اعتبارهم اندماجيين ومتبرجزين إن صح

---

1 - " Pétition de L'Emire Khaled au Président des U.S.A Wilson (mai 1919; Revue d'histoire maghrébine 19-20 Juillet 1950 p:199-209.

2 -Guy Pervillé : Les étudiants Algeriens de L'université Francaise p:203-204.

هذا التعبير، وقد تجلى عدم التلاقي هذا في الصراعات التي نشبت بين (UDMA) و (MTLD) ، والمصاليين والمركزيين والتي بقيت آثارها في الصراعات التي حددت بين جبهة التحرير وجيش التحرير الوطني والتي توجت باغتيالات عدة، من أبرزها، اغتيال عبان رمضان المتهم بالتحيز الفرنكفو لائكوشيوعي وإن كانت بعض المصادر تعيد له الفضل في تقريب الجناح الثوري من جمعية العلماء المسلمين.

و للتذكير أنه كان في مؤتمر الصومام قد اتّخذ مقرران هما الشيوعي الفرنكفوني عمار وزقان[1]، وصديقه محمد لبجاوي اللذان أوكلت لهما مهمة تحرير أرضية وثيقة الصومام التاريخية، وبعض المصادر تقول أخطر من هذا؛ وذلك أن هؤلاء الطلبة الفرنكفونيين قبل تاريخ 1936 كانوا لا يؤمنون بوجود ما يسمى بالحس الوطني الإسلامي الجزائري، ويعود هذا إلى التغلغل العميق لفكرة الإندماج Assimilation عمل المستعمر على غرسها في أذهانهم منذ أن التحقوا بالمدرسة الكولونيالية عام 1871. فهذه الأجيال الفرنكفونية المتتالية- وإن كان عددها قليلا نسبيا - قد تربت في أحضان الفكر الإستعماري الإندماجي التعايشي مع الوجود الكولونيالي ، لأن الفكر الإندماجي في رأي المحققين ليس معناه فقط تعلم لغة المستعمر أو المساواة في الحقوق والواجبات وإنما هو أيضا محاكاة وتقليد شبه عقائدي لنموذج المستعمر.

لكن هذا الإحساس بالقطيعة لدى الطلبة المسلمين الجزائريين الفرنكفونيين لمحيطهم نجده يعرف تراجعا تدريجيا ابتداء من تاريخ 1936 ومرورا بأحداث 1945، والتحضيرات التي سبقت 1954 إلى غاية 1962. لكن ما يميز ايديولوجية هؤلاء الطلبة الفرنكوفونية بعد التحقيق هو انعكاساتها على ثلاثة اتجاهات متباينة تقريبا.

أ) التوجه الإندماجي التقليدي قبل تاريخ 1919.

---

1 - عمار وزقان الماركسي الشيوعي سابقا لكنه ظهر غير ذلك من خلال كتابه " القتال الأفضل" .

2) الإيديولوجيا الفرنكومسلمة بمختلف أشكالها من 1919 إلى 1943 .

3) الوطنية الجزائرية ابتداء من 1943 .

فهذه الإيديولوجيات الثلاث تظل السمة البارزة التي تميز أفكار الطلبة الجزائريين الفرنكفونيين، ورغم رسم الحدود الزمانية فإننا نجد مثلا ظاهرة كالإندماجية مستمرة إلى أيام الثورة وما بعدها ولكنها تروح في كل مرة آخذة الأشكال التي تناسب المرحلة، فالإصلاحات التي سبقت 1919، قد أضعفت من هذا الإتجاه فراح يتجلى بعد هذا التاريخ في شكل ردّة أو تجنس. وبعد الخسوف الذي حصل في ما بين 1942-1945، يظهر الفكر الإندماجي في شكل التسجيلات في قوائم ما يعرف باسم "Premier College" ويظهر في عام 1958 في شكل المطالبة بالإندماج وحق المواطنة حسب ما ينص عليه القانون الفرنسي.

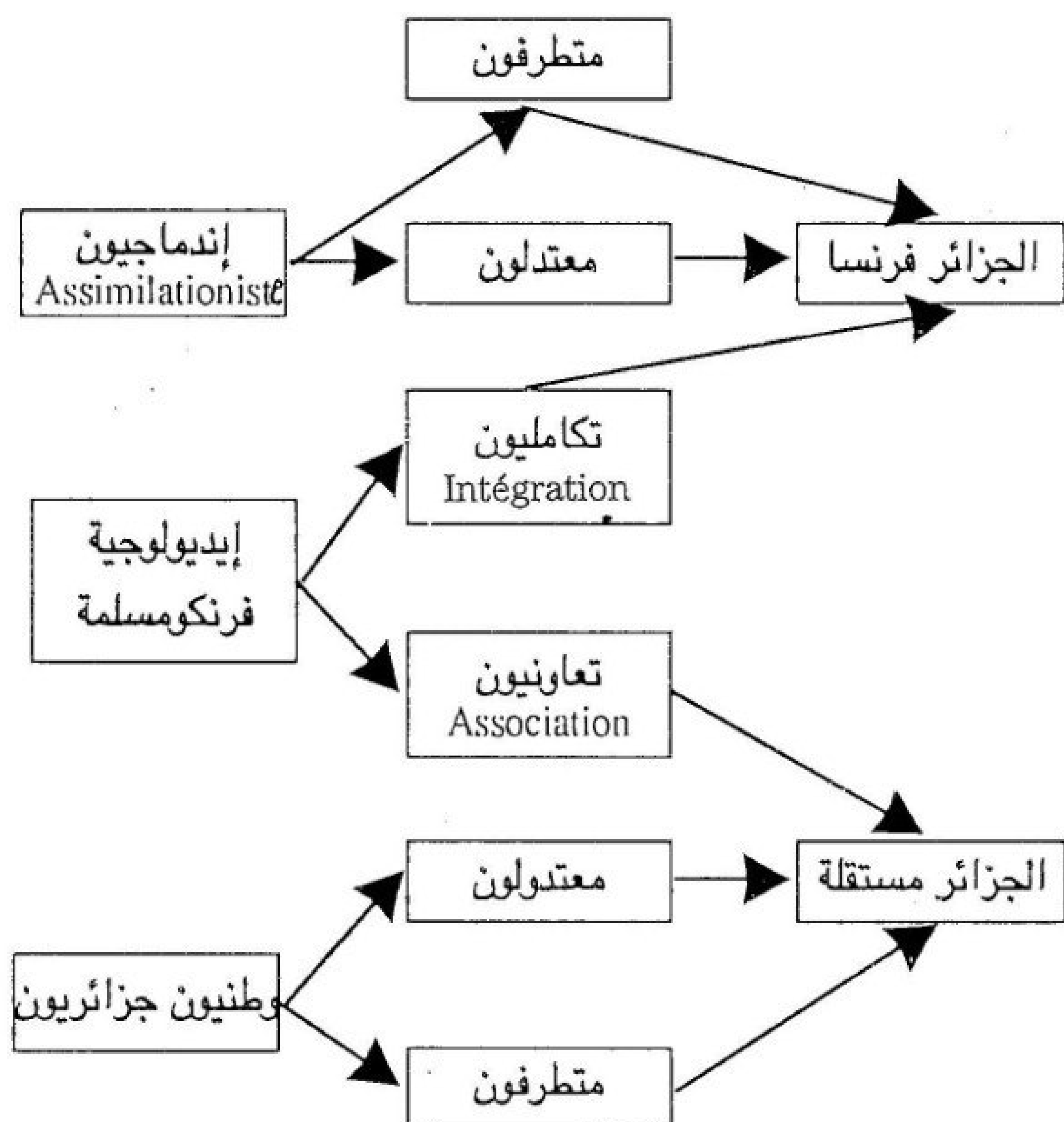
لكن وبدافع من الجمهورية الفرنسية الثالثة ونظام حكومة فيشي (VICHY) عرف هذا التوجه الإندماجي سبيلين :

فمطالب أنصار الطريق الأول هي المساواة في الحقوق المدنية في إطار الجمهورية الفرنسية، واحترام الشخصية الجزائرية إذ كانوا يعرفون باسم الإندماجيين إلى حدود 1945 ، هذه التسمية التي حورت من طرف جاك سوستال Jacques Soustelle فيما بعد وبالتحديد ابتداء من 1955 لتصبح منعوتة باسم Intégration بدل «Assimilation» إذا فعوض الإندماج أصبح التكامل، وهي التسمية الإستعمارية الجديدة التي ماتزال تطلق حتى يومنا هذا على كل مواطن من جنسية غير فرنسية يقدم خدمات لفرنسا متممة لمصالحها في إطار ما يشبه التكامل أو التعاون.

أما التيار الثاني فهو المحافظ على مبادئه القديمة والمتمثلة في المطالبة بجمهورية جزائرية ملحقة فدراليا بفرنسا، وقد حاول الجنرال ديغول تطبيق مشروع هذا التيار الإندماجي لكنه أخفق كما هو معروف .

هذه التوجهات الإيديولوجية المتقاعسة والمترددة نجدها تصطدم لتستفيق فجأة على السؤال التاريخي المحرج الذي طرحته عليهم طلائع الفاتح من نوفمبر من الوطنيين الذين أفرزهم السواد الأعظم من الشعب الجزائري المسحوق بنير الإستعمار، هذه الطلائع التي تسببت بشكل مباشر في تحطيم كل المخططات الإستعمارية والتي من أشهرها ظاهرة الإندماج وبعدها ظاهرة التكامل (Intégration)التي طالما راهنت فرنسا على نتائجهما لابقاء الجزائر تابعة لفرنسا قلبا وقالبا.

هذه الطلائع كان عليها أن تخير هؤلاء المترددين بين أمرين لا ثالث لهما : إما أن يكونوا مع جزائر مستقلة ذات سيادة وطنية، أو جزائر فرنسية في إطار ما عملوا وعملت فرنسا من أجله ألا وهو الإندماج والتكامل. لم يترك مثل هذا الطرح الصارم أمام المترددين أي مجال للمناورة ، ومن هنا ظهر تصنيف هذه الطبقة المثقفة الفرنكفونية في الشكل التالي حسب تصنيف بارفيلي Guy Pervillé .


متطرفون
إندماجيون
Assimilationiste
معتدلون
الجزائر فرنسا
تكامليون
Intégration
إيديولوجية
فرنكومسلمة
تعاونيون
Association
معتدولون
الجزائر مستقلة
وطنيون جزائريون
متطرفون

الطلبة الجزائريون والثقافة الإندماجية الفرنكفونية :

كلنا يعلم أن العالم العربي قد فقد حرياته واستقلال أوطانه إما عن طريق الغزو الإمبريالي الإستعماري المباشر، أو عن طريق الغزو الإقتصادي والثقافي. والجزائر ضمن هذا الإطار كانت أكثر البلدان العربية تضررا من هذا الإستعمار الفرنسي الإستيطاني الذي عمل ـ وما زال يعمل ـ كل ما في وسعه لالغاء مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية بكل ما تحمل من ثوابت وإرث حضاري.

ولما شرعت فرنسا في فرنسة جيل ما بعد تاريخ 1908، بطرق مختلفة ووسائل جديدة، أو من أسمته بالجيل الجديد الذي أعقب جيل العمائم الكبيرة والنياشين كما تسميه فرنسا، كان عليها أن تهيئ لهم كل ما يجعلهم يتعلقون بفرنسا، وما تعنيه هذه التسمية من حضارة وأسلوب في الحياة، فتقول المصادر أن الشباب الجزائري المحظوظ آنذاك والذي توفرت فيه الشروط للإلتحاق بالمدرسة الكولونيالية كما سبق أن تعرضنا لذلك بالشرح والتوضيح، صار مندهشا أمام الحكايات الخيالية التي تروى له في هذه المدارس عن فرنسا والفرنسيين الملائكة الموجودين بعيدا وراء البحر، إلى درجة جعلته يتعلق بالعالم المعاصر والمتحضر بواسطة هذه الثقافة الفرنكفونية الكولونيالية، وهو الهدف الذي كانت تقصده فرنسا وتعمل من أجل إرسائه في مثل هذه الدوائر التعليمية المشبوهة حتى تشوق الطفل والشاب الجزائري البرئ فتحول حلمه الساذج إلى هواجس جنونية تدفع به إلى الإرتباط أكثر بالصورة الجميلة والوردية للثقافة التي قدمت له عن فرنسا.

يقول مدير مدرسة ترشيح المعلمين ببوزريعة الإستعماري پول برنار Paul Bernard عام 1908. «ما يهم هو أن يكون لدى أبناء الأهالي (Indigenes)، عن بلادنا فرنسا، فكرة في منتهى السّمُو والصفاء.. إننا نقدم لتلاميذنا ـ من أبناء الأهالي ـ طبعا ـ معلومات قيمة عن عظمة فرنسا، وعن قوتها

العسكرية، وتراثها الهائل، وبذلك يكون موقعنا أكثر صلاحية لو يصل أبناء الأهالي إلى الإقتناع بكون الفرنسيين هم الأقوياء والكرماء، وأنهم أحسن المعلمين الذين يمكن أن يتمنوهم».. ثم يختم قوله ملخصا أهداف المدرسة الكولونيالية الموجهة قائلا: «إنها قبل كل شيء أداة سلطة، ووسيلة للتأثير عليهم [1]» فيمكن اعتبار تثقيف أبناء الأهالي الجزائريين من هذا المنظور الإستعماري عبارة عن غزو ثقافي هادف ومنظم، وهو كذلك مبدئي بالنسبة إلى فرنسا لأنها باتت مقتنعة بعد تجارب عدة، أن ما عجز عنه السلاح ووسائل القمع يمكن استدراكه بواسطة ثقافتها الفرنكفونية والفرنكفيلية الإندماجية اللائكية، المعادية والمناهضة لكل الموروث الوطني الجزائري لغة وتقاليد وشخصية.

إنها محاولة أخرى من محاولاتها الكثيرة من أجل إلحاق الجزائري ككيان ليصبح تابعا لفرنسا ضمن مخططها الجديد الذي أعقب مراحل الإندماجية وظهر في شكل جديد تحت مصطلح التكامل (Integration)، وبهذا التوجه شرعت في حملتها من أجل مكافحة وإبادة ما اسمته «بالمدارس الأكواخ» (Ecoles-Gourbis)، وهي الكتاتيب المتواضعة التي تحصنت فيها اللغة العربية وبقايا الموروث الحضاري والروحي للشعب الجزائري كآخر ملجإ أمام الزحف الفرنسي الإستيطاني والإندماجي والتكاملي. لذا ظل يؤكد مدير مدرسة ترشيح المعلمين ، السالف الذكر، على المهام النبيلة المنوطة بالسياسة التعليمية الكولونيالية فيقول: «في الحقيقة إننا نقدم لأبناء الأهالي في شكل ألوان تاريخية دروسا في الوطنية ومواعظ لائكية (Laiques) تنوه في مجملها بمفاخر فرنسا» ثم يقول اخطر من هذا موضحا مهمة المدرسة الكولونيالية، وما يجب أن تضطلع به في أوساط أبناء الأهالي

1 - Malek Haddad : les zéros tournent en nord , et Maspero 1961 p:44-45

الجزائريين المسلمين: «إن مدرسة الأهالي الفرنسية ليست مدرسة عادية لتلقين اللغة الفرنسية فحسب، بل هي تهدف إلى أن تفعل الثقافة الفرنسية فعلتها في أرواح أبناء الأهالي، وتعمل على تحريرها قدر ما يلزم، والزج بهم في أعماق الثقافة العقلانية التي تمتاز بها الحضارة الفرنسية، نحن ندرك جيدا أننا لا نتوجه بها إلى مجموعات من العبيد، بل إننا على يقين جازم بأننا نسعى إلى أن نصنع بها رجالا.. فمهمتنا إذا، ليست فرنستهم، بقدر ما هي محاولة لتوفير الوسائل لديهم كي تتطور وضعيتهم المادية، ونقربهم من فرنسا أكثر. يجب أن نكون بالنسبة إليهم في كلمة واحدة: معلمين مثاليين[1] .

وكيف لا يكون عندهم هذا الشعور وهذه القناعات وهم يقومون بمهمة تضاهي المهام التبشيرية إن لم تكن تفوقها؟ فمثل هذا الإحساس بجسامة مهام المدرسة الكولونية المسخرة لتثقيف أبناء الأهالي الجزائريين دفعت بواحد كجونمار(Geanmaire) إلى الرد بحدة على المشككين في سلامة هذه النوايا قائلا بلغة الجازم: «لا أريد أن أصدق أن ما يمكن أن نعتبره مفيدا لأبنائنا هو غير ذلك بالنسبة لأبناء الأهالي» فالمواعظ اللائكية التي تمجد فرنسا كانت دائما تنهج هذا السبيل، لأن السياسة الكولونيالية باتت على يقين بعد تجارب عدة، أن دور المدرسة الفرنسية هو الطريق الأنجع لتحضير الفكر الجزائري المستقبلي والقابل لمبدإ الإندماج (أو التكامل In-tegration)، والإنضواء داخل جسم فرنسا الكبير رمز العظمة والمفاخر ومهد الحضارة العريقة.

من هناك تحولت مهمة المعلم الفرنسي الإستعماري بمثابة مهمة قائد الجيوش الإستعمارية الغازية، إن لم نقل أخطر، أو بمثابة رجل الدين المسيحي المبشر بتعاليم الكنيسة في مناطق جبال القبائل الكبرى، أو في صحراء الهقار

---

1 - S. R Ageron : Les Algeriens musulmans p:940-956

وغيرها من البقاع الصعبة المسالك. لكن روح التفاني في أداء المهمة تهون من أجلها كل الصعاب، فالكل في آخر المطاف يعمل من أجل إرساء وفرض سيادة فرنسا ولو أدى الأمر إلى اعتبار أبناء الأهالي كأبناء فرنسا وذلك لإشعارهم بكسر الحواجز، وترسيخ الطمأنينة الإستعمارية في عقولهم، وإشعارهم كذلك بالإرتياح إلى كل ما يأتي من فرنسا.

إن المدرسة الكولونيالية تقوم بدور الساعي إلى رفع مستوى حياة الأهالي لتجعل من العربي والقبائلي على حد قول بعضهم يمتلك الإستعداد الكافي لتقبل الأفكار الجديدة دون إشعارهم بأن المدرسة الفرنسية تسعى إلى اجتثاثهم من أصولهم وهذه الغاية من أهداف فكرة التكامل (INTEGRATION) الجديدة...

فبانتهاج المدرسة الكولونيالية هذا السبيل الخبيث، تمكنت من زرع بذور القطيعة بين الطفل الجزائري ومحيطه الأصلي، والمحيط نعني به كل ما يرتبط بتراثه من حضارة وتقاليد وقيم روحية راسخة.

لكن هذا البريق المغري الذي جر وراءه أجيالا من الشباب الجزائري كان بمثابة السراب؛ لأنهم في آخر المطاف حين تسلحوا بسلاح الرجوع إلى الأصل وجدوا أنفسهم بمثابة الأيتام بين حضارتين.. حضارة فرنسا المفروضة عليهم والمطروحة كبديل يمتلك القوة والإغراء. وحضارة الأصل التي تآكلت، وأتى عليها حين من الدهر، فأتربت بغبار النسيان الذي أفقدها الجدة والحيوية والتواصل والمواصلة. إنه شرخ عميق ظل يقف عائقا وحاجزا أمام محاولة استدراك مافات بالنسبة للطلبة الجزائريين الفرنكوفونيين، لذا كان إصرارهم دائما هو مطالبة فرنسا أن تعاملهم مثلما تعامل أبناءها، إنهم بتعبير مالك حداد التلميذ والدرس في آن واحد، فهل تريد فرنسا مزيدا أكثر من هذا!؟ إنهم كما ذكر أحمد طالب الإبراهيمي في خطاب الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين: «...لا تواصل بينهم وبين حضارتهم ولا

إمكانية لاندماجهم في الثقافة الفرنسية التي فرضت عليهم (1).

ومحصلة هذا العمل الكولونيالي المعمق كانت اعترافات أحد خريجي هذه المدرسة الفرنسية الكاتب الجزائري الفرنكوفيلي مولود معمري القائل بكل ثقة محزنة: «إن اللغة الفرنسية بالنسبة لي ليست مجرد لغة موروثة عن عدو، بل هي أداة للتحرر لا مثيل لها، وأداة للتحاور مع بقية العالم، وأعتقد أنها تعبر عن كياننا أعمق تعبير أكثر مما تخوننا» (2) فهذا الإحساس النشاز من طرف كاتب جزائري يعتبر أمرا طبيعيا، لأن جيل هذا الكاتب يعتبر فرنسا ظاهرا وباطنا هي الأم (Mére Patrie)، وتؤكد المصادر أيضا أن الثلاثة آلاف سجين جزائري في الحرب العالمية الأولى 1914 - 1918، من أجل العلم الفرنسي، والمساجين الجزائريين في المحتشدات النازية الألمانية في الحرب العالمية الثانية كانوا يقولون بكل سذاجة: إننا فرنسيون وسنبقى فرنسيين، بل الأدهى من هذا كله أنه قبل عام 1914، وجه «جميل مروان» الطالب السوري الجنسية نداء إلى الطلبة الجزائريين بباريس للإنضمام إلى جمعية الطلبة العرب فكان رد الطلبة الجزائريين الفرنكفونيين آنذاك: «إننا فرنسيون ولسنا عربا» (3).

الإديولوجيا الفرنكوفيلية الإندماجية للطلبة المسلمين الجزائريين:

يذكر ألبير ممي (Albert Memmi) في كتابه (Portait Du Colonisé) صورة مستعمر- بفتح الميم - «إن الرغبة الأولى للمستعمر-

1 - Discours d'Ahmed Taleb au 1er Congrés de L'U.G.E.M.A Juillet 1956

2 - Mazouni Abdellah : Culture et enseignement en algerie et en Maghreb et Maspero 1969 p:45-46

3 - Albert Memmi : Portrait du colonisé, précédé du portrait du colonisateur
ed. Paris, Buchet-chastel Corréa, 1957 p : 199.

بكسر الميم - هي الوصول إلى التساوي مع سيده المفضل المستعمَر- بفتح الميم - والتشبه به إلى درجة الذوبان فيه»، ومن شدة التعلق بالمستعمر الكولونيالي تؤكد بعض المصادر أن الشباب الجزائري الفرنكوفوني أصبحت لديه قابلية وغيرة حتى على اللغة الفرنسية، جعلته يتقنها أكثر من اللازم، ويحافظ على سلامتها ونطقها أكثر من الفرنسي ذاته، ويؤكد هذه الشهادة الحادة عبد الله مازوني في دراسته: «الثقافة والتعليم في الجزائر والمغرب» منشورات Maspéro 1969 ابتداءا من 247.

لكن خير ما ينطق ويعبر عن ظاهرة التفاني في الذوبان في الفكر الكولونيالي الفرنسي هو كتاب رائد الإندماجيين الجزائريين الفرونكوفيليين المسمى الشريف بن حبيلس وكتابه: «الجزائر الفرنسية من منظور أحد الأهالي (l'Algérie Française vue par un Indigène) المنشور عام 1914، [1] إنه عبارة عن شهادة حية لمنتوج المدرسة الكولونيالية الفرنسية، وهو يجسد الأفكار الإندماجية لأحد المثقفين الفرنكوفيليين الجزائريين الذين تشبعوا حتى النخاع بالثقافة الفرنسية بمختلف مستوياتها، حيث تجد عبارتي «التقارب» و «الإندماج» قد لازمتا هذا الكتاب الذي سعى مؤلفه من ورائه إلى محاولة إثبات هذا التزاوج المستحيل موضوعيا، والقابل للتحقيق من منظور ابن حبيلس الإندماجي. إنه شهادة الجزائري المنسلخ عن أصله وعرضه وعن ذاتيته ومقوماته، والساعي بدون كلل ولا ملل إلى إغداق الشكر المجاني على فرنسا ولية نعمة الجزائريين من أمثاله، والقوة المنقذة لبلده الجزائر التي كانت قبل قدوم فرنسا عام 1830 كما يقول: تعيش الصراعات القبلية الوحشية، والهمجية اللامحدودة، وبفضل وصول فرنسا تحقق الأمن وعاد للجزائر الإستقرار والطمأنينة. ويعتبر هذا الصنيع بمثابة

1 - Cherif Benhabyles : L'Algerie francaise vue par un indigéne - Alger 1914

المؤشر الكفيل الذي يحتم على الجزائريين التقرب أكثر من فرنسا والتعاون معها، والأكثر من هذا أنه يعتبر الإحتلال الفرنسي للجزائر بمثابة الفرصة التاريخية للشعب الجزائري، لأنه بفضل هذا الوجود يتحتم قطعا الوصول إلى التلاحم، وحسب رأي هذا الإندماجي الفرنكوفيلي المنسلخ أن الكولون بدون الأهالي لن يتمكنوا من الأرض، ولا من تحقيق مآربهم الإقتصادية، ومن هناك، تكون حتمية التقارب والتلاحم والإندماج ضرورة لا مناص منها بالنسبة للطرفين، وخاصة إذا كنا نعلم، حسب رأي هذا الكاتب، أن فرنسا تبقى رغم كل ما يقال عنها رمزا للعظمة.

ومن هناك راح هذا النموذج الجزائري المنسلخ يكيل المديح لفرنسا أضعافا مضاعفة أكثر مما تتصور أو تتوقع الإدارة الإستعمارية نفسها، متغاضيا طبعا عن التشريد والتهميش والحرمان الذي يعاني منه الشعب الجزائري في البوادي والأرياف والمداشر والجبال، وخاصة في الصحاري، التي أصبحت ملجأ لكل مناوئ لهذا الحضور الإستعماري الغريب. ولا يتوقف هذا الكاتب الجزائري الفرنكوفيلي، عند هذا الحد من الثناء والتملق للإدارة الكولونيالية بل اعتبر كل ما أقدمت عليه الإدارة الإستعمارية من إنجازات كالمدارس، وقانون الأهالي بمثابة الأعمال الخالدة التي ساهمت في إخراج المجتمع الجزائري من تخلفه وتوحشه، ويذهب الى أخطر من هذا داعيا إلى الوحدة الفكرية الإندماجية مع فرنسا، بما فيها الوحدة العاطفية والجنسية وكيف لا تتم، كما يقول، روابط دموية بين الشعبين!؟ ومن هناك تسمعه يناشد فرنسا وملتمسا منها بأسلوب التضرع والخنوع أن تسارع إلى تعديل وتطوير قانون «الخماسة»، ونشر التعليم الفرنسي بأسرع ما يمكن، وتشجيع هجرة الأهالي إلى فرنسا الأم حتى يتمكنوا من معاينة العظمة والمعجزات والإلتحام بإخوانهم الفرنسيين وراء البحر، وهو يعتقد كأساتذته الإستعماريين أن الزمن لا محالة يعمل لصالح الإندماج والتلاحم بين الجزائري والفرنسي حتى ولو أدى الأمر إلى الإنتظار قرنا أو قرنين. ثم يعمد هذا الإندماجي إلى تقديم

الحجج الملموسة إلى فرنسا، ويضرب لذلك مثلا بالخماسين البسطاء الذين لا يدخرون جهدا في التفاني في خدمة أسيادهم من الكولون، بكل وداعة وصبر وإصرار، ويرسلون بأبنائهم إلى المدارس الفرنسية لأنهم على يقين بأن ذلك السبيل الأمثل لتحقيق الإندماج الكلي، مع الإرتماء وبدون تردد في أحضان الأم الكفيلة فرنسا التي هي وحدها القادرة على مدهم بيد الرحمة والحنان والصدق والعرفان، لأن الشعب الجزائري العقيم في رأي هذا الإندماجي المنسلخ ليس لديه ما يفقده أو يضيعه إن هو ارتمى بصدق في أحضان فرنسا، بل العكس سيظل هو الرابح في القضية وخاصة إذا تم له الإعتراف من قبل فرنسا بأنه أصبح فرنسيا فذلك هو اليوم الموعود!!.

لم يتوقف الشريف بن حبيلس في كتابه هذا عند حد الثناء على فرنسا، بل خص أبناء وطنه في الفصل السادس بالهجاء والشتم واللوم لأن بعضهم لايزال ممعنا في غيه مصدقا للخرافات والممارسات للطقوسية والشعوذات، ومتمسكا بالشعائر الدينية المزعومة، ومحافظا على بعض التقاليد الموروثة كتلك المظاهر الإرسطقراطية المزيفة والمنتشرة في مدينة كقسنطينة التي نجد فيها إلى زمن الكاتب من ينشرح وينتشي بالزهو والخيلاء حين يلقب «بأولاد البلاد» (Les Enfants de La cité)

ثم يختم ابن حبيلس موجته من الشتم والغضب بقوله: كفانا من عصور الإنحطاط معتمدا في ذلك على نصائح ومواقف شيخه العميل لفرنسا ابن الموهوب حيث ينقل في كتابه العديد من الشواهد المستقاة من أربع محاضرات من إلقاء هذا الشيخ الإندماجي حول أسباب تخلف العرب وانحطاطهم كما يزعم، مع دعوته الصريحة إلى القطيعة مع تاريخ الأمة العربية وحضارتها، وكل ما يمت بصلة إليها.

ويضيف ابن حبيلس إلى هذه الوقائع هجومه على تاريخ الجزائر التي كانت كما يقول قبل مجيء فرنسا، مجرد «عش للصوص البحر» و «قطاع

الطرق» ولم تعرف الجزائر طعم الهدنة والسلام إلا بمقدم الفرنسيين ويضرب مثالا على ذلك شهادة أحد أقاربه القاطن بميلة الخصيبة والذي يذكر بأنه أصبح بفضل الوجود الفرنسي ينتقل بمحاصيله الزراعية من ميلة إلى سطيف على ظهور دوابه دون أن يعترضه أي مكروه.

إن القضاء المبرم على المتمردين وقطاع الطرق من الجزائريين بفضل فرنسا جعل واحدا كبوعكاز مثلا يعرف مصيره على يد فرنسا.

والملاحظ على هذه الشهادات الغريبة والتصريحات المشينة لهذا المتفرنس أننا لا نزال حتى يومنا هذا، وبعد أزيد من ثلاثين سنة من الإستقلال نسمع من يأسف على ما يسمى بأعوام الأمن والرخاء، ورد الحقوق إلى أصاحبها وذلك بفضل سياسة فرنسا، بل تعجب إذا قلت لك أنك تسأل من أردت اليوم فإنه سيذكر لك أن فرنسا «هي بلاد الحق»، و«أم الزوالي» وهي عبارات شائعة تلاحق مسامعك في مجتمعنا اليوم الذي أعتقد أن معظمه لايزال خاضعا لتلك الروح التخديرية التي لايزال ينفثها فيهم أتباع الأجيال الإندماجية المتعاقبة.

فهؤلاء الإندماجيون لم ييأسوا ولم يقطعوا الصلة بينهم وبين فرنسا فيكفي أن تتجول في بعض مدن فرنسا، أو تسأل بعض الجزائريين المقيمين ظاهريا في الجزائر، فإنك تجد العائلة الواحدة تضع رجلا وراء المتوسط وأخرى تجرر في الجزائر، بل تجد من يفضل اليوم وبعد ثلاثين سنة من الإستقلال، وهو في هرم السلطة، التعفف عن إرسال أبنائه إلى جامعات الجزائر، حتى ولو كانت تتوفر على الإختصاص المرغوب، وهو الذي فصل في برامجه ولغة تدريسه ومستقبله المهني كالحقوق - مثلا -، ويفضل في إصرار غريب تعليمهم بجامعات فرنسا...

ومن هنا كانت ولاتزال بلية الجزائر الشهيدة، التي لم تعرف الإستقرار، ولا عرف أهلها في لحظة من حياتهم الشعور الحقيقي بروح

المواطنة والإنتماء إلى هذه الأرض، ومن أين سيأتي لها هذا الشعور بمثل هذه المقومات المقدسة في قاموس الشعوب وكثير من مواطنيها لايزال يتمتع بالقانون الفرنسي الكولونيالي ألا وهو قانون إزدواجية الجنسية «Les Nat-uralisés»؟ إنهاضريبة تاريخية ندفعها، وهي أقصى ما يمكن أن تدفعه الجزائر ثمنا لدم الشهداء الذين لاتزال فرنسا تفرض على الجزائر دفعه جزية مقابل تمردهم على مخططاتها. كما أنها لاتزال تقلل من شأن هؤلاء الشهداء الشرفاء حتى بلغ بها الحد مؤخرا إلى التشكيك في عددهم واعتباره من الأرقام المبالغ فيها، والمفروض التقليل من ذكرهم في الوسائل المختلفة وعدم التعرض لهم بالتمجيد في المناسبات الوطنية لأنهم بهذه الطريقة سيبقون عائقا دائم الحضور في مسار التقارب الجزائري الفرنسي والذي اصطلح عليه بالأمر المحتوم.

فعبارات ابن حبيلس في بداية هذا القرن، هي نفسها ما نسمعه اليوم بكل ما تحمل من زخم ومشاعر فياضة تجاه من سلب أرضنا بالأمس، وهتك حرمات أمهاتنا وأخواتنا وقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا، فإلى متى سيظل الجزائري على هذه الحال متقمصا قناع الذاكرة المنسية؟

إن ثورة ابن حبيلس في كتابه هذا، لم تتوقف عند هذا الحد من الإدانة للشعب الجزائري، بل تعدى تنديده وسخطه على كل ماهو جزائري أصيل حتى مس المداحين و «القوالين» [1] في الأسواق آخر بقايا «غبار الذاكرة الشعبية» فذنبهم الوحيد حسب رأيه هو محاولة استرجاع الذاكرة المفقودة، والتذكير بمفاخر لم يعد لها وجود، وتبشير العامة الجاهلة بقدم المهدي

---

1 - يعرف وزقان المداح :

Meddah : littérallement : l'aurateur; conteur qui récite sur les marchés ou autre lieux publics des poèmes, des légendes ou des histoires dont il n'est pas l'auteur. p : 26 LE MEILLEUR COMBAT

المنتظر، ولذا يجب معاقبتهم بالطرد والتقتيل لأنهم حجر عثرة في وجه تحقيق الإلتحام بفرنسا. ويجب أن ننبه هنا إلى أن ابن حبيلس في كتابه لم يذكر إطلاقا عبارة «شعب جزائري» بفهومها الصحيح، وبكل ما تحمل من مقومات، بل ذكره للشعب الجزائري في كتابه يأتي عرضا، ويعني مفهوما اجتماعيا يعادل موضوعيا ما يعرف بالطبقة العاملة.

الجناح الطلابي الجزائري الفرنكولايكو بربري انفصالي:

بعدما رأينا وتتبعنا نموذجا من نماذج الإندماجيين المتطرفين الذين يمثلهم الشريف بن حبيلس ومن نحا نحوه والذين اعتنقوا الثقافة الفرنسية منهجا وعقيدة، مع تبني القطيعة الشاملة منهجا وعقيدة مع مقومات أمتهم الجزائرية، سواء عن طريق الإندماج أم الإرتداد إلى الدين المسيحي أو التجنس بجنسية العدو المستعمر، أو ركوب اللائكية الملحدة، نجد تيارا آخر أكثر خطورة، ويعتبر هو الآخر، من ثمار المدرسة الكولونيالية المتطرفة والمعادية للشعب الجزائري ومقوماته، وخير ممثل لهذا التيار الفرنكولايكو بربري انفصالي هو المحامي المرتد إلى المسيحية المدعو بلقاسم إبازيزان «Belkacem Ibazizen» الذي تخلى عن اسمه العربي وأصبح يعرف باسم أغسطين «Augustin» كما يفعل اليوم من يلجأ إلى أسماء كيوغرطة والكاهنة وتاكفاريناس وما إلى ذلك.

هذا الإنفصالي يقدم لنا بدوره عام 1930 تصورا عمن أسماهم بالشبيبة القبائلية المتطورة قائلا : «إن الشبيبة القبائلية ترغب في الفرنسة» La jeunesse Kabyle désire La Francisation ويفسر هذه الرغبة بأسباب موضوعية حسب رأيه، منها أن القبائل ليسوا ساميين، وبالتالي فهم ليسوا عربا، بل هم «متوسطيون» (Méditerranéens) متميزيون بتاريخهم في جبل جرجرة حيث يقتربون في طباعهم وأحاسيسهم من الشعوب

اللاتينية. ومن ضمن الأسباب الموضوعية حسب اعتقاده أيضا، أن القبائلي ليس كالعربي من حيث المعتقد واللغة بل هو أقرب إلى الفرنسي فيما يتعلق بمعتقداته، والشيء الذي نلحظه اليوم عند الشباب القبائلي هو تمجيده للطقوس نفسها التي تمجدها فرنسا ثم يقول أدهى من هذا: إن الشعب القبائلي ليس له علاقة بإله العرب، ولا بمحمد العرب، ولا بحضارة من يسمون بالمسلمين[1]، بل القبائلي تجده قريبا من عقيدة التثليث المقدس،

1 ـ حول اللغة القبائلية وأخذ تها اللغة العربية يقول عمار وزقان :

La langue Kabyle conservée par l'isolement géographique s'est figée comme la langue littéraire conservée dans le Koran à côté de l'Arabe parlé, langue vivante qui évolue sans cesse, les deux autres langues, le Kabyle et la langue religieuse, deviennent archaiques, différentes et incompréhensibles.

2 - Le Kabyle est pour la langue arabe ce qu'est le carradieu pour la langue française. Le vrai Carradien - Français ne dit pas automobile il dit Char à feu, il ne faut pas entendre char d'assaut ni Tank mais comprendre "l'ocomotive".

3 - Le Kabyle est un arabe ancien qui a gardé la saveur de la langue de Hannibal cette langue mère que le graphie française et les épithètes latins ont défiguré en punique carthaginois phiniciens.. ou maltais

4 - Le mot composé arabo-bèrbère, chez les colonialistes, exprime l'idée d'opposition de deux peuples, deux langues, deux cultures, il est employé par antiphrase pour lui donner une force négative, contraire à la réalité algérienne.

Pour nous le mot arabo-bèrbère est un trait d'Union entre deux nations sœurs. C'est l'identification de la souche historique d'ou est née la nation algérienne contemporaine.

D'ailleurs, le colonialisme n'a jamais réussi à faire un coupure absolue entre l'arabe et le bèrbère, langues parlées distinctes, mais unies par le même lait maternel, l'arabe littéraire qui joue le rôle de charnière triple en tant que langue religieuse, écrite et commerciale.

والديانة المسيحية أنسب لمكوناته الشخصية، ولو عملت الشبيبة القبائلية بهذا التوجه فإنها ستكون في آخر الأمر جزءا لا يتجزأ من فرنسا مثل منطقة الكورس، أو لابروطانيا أوبلادالباسك(2).

وتؤكد المصادر الفرنسية أن هذا التوجه البربري الجزائري الإنفصالي بقدر ما هو واضح الملامح والأهداف والطرح، فإنه يتميز بالنوعية في ممثليه أكثر ما يتميز بالكثرة العددية، لأنه يجد آذانا صاغية من طرف كل شرائح المثقفين الفرنكفونيين الجزائريين وذلك لمنهجية الطرح ونوعية الأهداف، كما

Ce n'est pas par hasard que la langue arabe, aujourd'hui, nourrit le sentiment de co-appartenance à la nation algérienne comme celle qui animait, il y a mille ans, le mouvement d'unification liniguistique de l'empire almohade ou fatimide.

Voilà pourquoi le "bèrbérisme" doctrine de division colonialiste présentée sous la forme de cercles "Kabyles" par opposition aux Arabes ou de cercles "maraboutiques" contre les "oulémites" n'a pas eu plus de succés que la séléction mondaine du cercle "franco-musulman" pour annihiler le développement du sentiment national unitaire.

Le bèrbérisme a échoué également sous son aspect politique avec la constitution du P.P.K (Parti Populaire Kabyle), même s'il exprimait la volonté louable de créer une opposition organique à la direction messaliste du P.P.A (Parti du Peuple Algérien)

La fidélité à la langue du Dhad, lettre de l'alphabet uniquement arabe et Kabyle, c'est le refus opiniatre à toute "francisation" C'est l'incorruptibilité de l'Algérie, de son individualité, de sa personnalité, de sa nationalité.

1 - HANAFI LAHMEK dit Hesnay -Lahmeck : Lettres algeriennes , Paris , jouve 1931, préface de Maurice violette p:40-51

يجد تقبلا وتأييدا من طرف أصحاب الرأي الحر واللائكيين ، ومن هنا نجد أحد الأهالي الفرنكفونيين يؤكد في هذا السياق من عام 1930 موضحا وجهة نظره لأحد الصحافيين قائلا : «إذا كان الشباب الجزائري الفرنكفوني قد بلغ درجة من تمجيد فرنسا ومحبة ثقافتها والتعلق بلغتها ونموذجها في الحياة، ثم تجده لم يندمج فيها كلية ففي هذه الحال لابد من البحث عن العائق؛ والعائق في مثل هذه الحال يمكن الإهتداء إليه بسهولة، فلا يمكن أن يكون العائق سوى الدين الإسلامي لا محالة، فعلى فرنسا أن تعمل على نشر وتكريس الفكر اللائكي؛ لأنه بهذا الفكر يمكنها إدماج المجتمعات الإسلامية تدريجيا في حضيرتها، وهذا الفكر اللائكي يمكن أن يتم عبر مشارب مختلفة كأن يكون على سبيل المثال لائكية علمانية أو لائكية لا أدرية (Agnostique) أو لائكية فلسفية...» ومن الممثلين لهذا الفكر اللائكي الإلحادي الإنفصالي أيضا المحامي حنفي لحمك (Hanafi Lahmek) الذي عبر بوضوح عن حقده وكراهيته لكل ما هو جزائري بالمفهوم الحضاري، وذلك في (رسائله الجزائرية) (Lettres Algériennes) المنشورة عام 1931 حيث تمثل أفكار هذه الرسائل ما يمكن اعتباره باللائكية العنيفة بمختلف أبعادها، الرافضة لكل مايمت بصلة للعروبة والإسلام. ففي هذه الرسائل نجده يعلن تنصله من العقيدة الإسلامية وغيرها من العقائد الأخرى.. فهو لا يدين بدين، ولا ينتمي إلى أية ملة.. إنه يدين فقط بقداس العلم، ويشن هجوما شرسا على التاريخ الإسلامي محملا إياه العواقب الوخيمة التي أوصلت البربر- الأمازيغ - إلى ماهم فيه نتيجة وصول الجسم العربي الغريب إلى بلادهم بما يحمله من ادعاء مستلهم مما يسمونه بالقوانين الشرعية القرآنية التي تتعارض مع أسباب التمدن والحياة العصرية، وباعتناق الجهلة من الناس لهذا الدين المزعوم راحوا يتقهقرون إلى الهاوية. ثم يعلن أن الأمازيغ شعب لاتيني الأصول، لا علاقة له بالعرب والإسلام. وبهذه القناعات يرى هذا الكاتب الفرنكوفيلي الانفصالي ضرورة الإندماج في فرنسا كمنفذ وحيد لإنقاذ

ماتبقى من الموروث البربري اللاتيني وهي الطروحات التي لا تزال تجد صدى إلى يومنا هذا...

جناح الطلبة الجزائريين المسلمين الفرنكفونيين التكامليين:

هناك طائفة من هؤلاء الفرنكوفونيين الجزائريين المسلمين الذين لم ينتهجوا نهج السابقين من أمثال «الفرنكوفيليين الاندماجيين»، و «الفرنكو لايكوبربريين انفصاليين» و «الفرنكولايكوشيوعيين». هذه الطائفة هي التي تعرف باسم الفرنكومسلمة مزدوجة اللغة في أغلب الأحيان، عملت وظلت تعمل بواسطة هضمها للثقافة الفرنسية على إقناع الجزائري بالإلتحاق بفرنسا، وعلى إقناع فرنسا كي تعتبرهم فرنسيي الموطن ومسلمين من حيث العقيدة في الوقت نفسه، وهذه الطائفة من الفرنكوفونيين الجزائريين هي التي كانت متحمسة لفكرة التجنس بالجنسية الفرنسية، وترى في العقيدة الإسلامية أمرا ذاتيا خاصا بالفرد ولا علاقة للمجتمع المدني به. و قد تناسى هؤلاء الدعاة إلى التجنس أن التمسك بالإسلام كعقيدة فقط لا يسمح لهم بهذا التكامل المزعوم مع فرنسا؛ لأن الإسلام في جوهر تعاليمه روحانيات وتشريعات قانوينة، وهذه الأخيرة شاملة لكل المؤمنين، وتبقى الشريعة هي العامل الموحد والمؤطر للأمة الإسلامية، والجامعة لشملها والعاملة على إحداث ما يشبه «الوطنية الإسلامية» أو المواطنة الإسلامية فيما بين أفراد المجتمع المسلم. لكن هذا المفهوم كان غير وارد بالنسبة لدعاة التيار «الفرنكو مسلم» حيث طالبوا بتطبيق القوانين الوضعية الفرنسية على من أسموهم بالفرنسيين ذوي العقيدة المسلمة، ومن هنا نجدهم يلتقون مع دعاة الردة المسيحيين الجزائريين الجدد، واللائكيين المطالبين بفصل الدين عن القوانين التشريعية. فكلهم في آخر المطاف يصب في غاية واحدة «الفرنكفونية الإندماجية اللائكية»، إنهم على حد تعبير أحد دعاتهم المسمى مختار حاج سعيد القائل «ليس لدينا وطنيون، فاسطنبول والخلافة

بالنسبة إلينا نحن المسلمين بمثابة روما والبابا بالنسبة للمسيحيين، ولا شيء أكثر من ذلك، وليس لدينا شيء مشترك مع الأتراك ولا الفرس ولا حتى المصريين.. » وبهذا التوجه «الفرنكومسلم» يبتعد الشاب الجزائري المثقف شيئا فشيئا عن مفهوم الأمة ليحط الرحال في حضيرة أمة أخرى في إطار ما أسمته فرنسا بالتكامل (Integration) وبذلك تتحقق لهم أمنية الإرتماء في أحضانها، هذه الأمنية التي عبر عنها أحد ممثلي هذا التيار ألا وهو أول روائي جزائري يكتب باللغة الفرنسية وهو المدرس عبد القادر حاج حمو الذي نشر أعماله الابداعية تحت إسم مستعار هو «عبد القادر فكري» حيث كتب عام 1933 عن أحلام الجزائري التكاملي الذي يتمنى وصول اليوم الذي تصبح فيه الجزائر فرنسية القلب جزائرية المظهر وجزءا مكملا لفرنسا، معتقدا أن الإسلام ـ الذي اعتبره دعاة اللائكية عائقا ـ لا يمانع من هذا التكامل بل يسهل ذلك حسب رأيه لانه دين يدعو إلى التطور وتبني العلم ونبذ الجمود والتحجر » [1]

بعد هذا الكاتب، نجد أحد تلاميذ ابن حبيلس المسمى زناتي يظهر ليكمل مشروع أستاذه، وليؤكد باسم الطلبة الفرنكومسلمين «أن الطريق بات واضحا أمامهم وهو التطور في إطار الوطنية، والتقرب قدر الإمكان من أساتذتهم الفرنسيين، وعقد الثقة فيهم والمضي على خطاهم قدما نحو الهدف المنشود وهو «الفرنسة الشاملة» والتكامل الذي لا مفر منه ولا مخرج بدونه، أو على حد تعبير فرحات عباس نبذ القطيعة الكائنة بين الفرنسيين والجزائريين. وقريب من هذا الرأي قول الأمين العمودي خريج المدرسة الفرنكومسلمة [1].

---

1 - Randau Robert et Abdelkader Fikri , Les compagnons du jardin , paris 1933 p:10

2 - Guy Pervillé : Les étudiants Algeriens de L'université Francaise les p: 218 -219

كم علق المثقفون الفرنكفونيون بصفة عامة والفرنكومسلمون بصفة خاصة آمالا. عراضا على مشروع قانون موريس فيوليت Maurice Violette عام 1931، وكذلك بلوم فيوليث Blum Violette عام 1936، لكن في آخرالأمر لما غابت آمال المثقفين الجزائريين ولم توافق الإدارة الإستعمارية على مطالب هذه النخبة وظلت رافضة ومماطلة أمام إلحاحهم سواء على الدمج أم على التكامل، ودخلت فرنسا كما هو معروف مرحلة العنصرية أيام حكومة فيشي (Vichy) ومنيت بهزائم 1940، لكن مع كل هذه الإنكسارات ظلت آمال المثقفين الجزائريين الفرنكواندماجيين، والفرنكومسلمين تكامليين، والفرنكولايكوشيوعيين وانفصاليين قائمة إلى غاية 1960تاريخ حسم فرنسا النهائي الصادر في قرارها بعدم إمكانية فرنسة الجزائر، وربما جاءها هذا القرار بعد أزيد من قرن لوقوفها على استحالة تحقيق مثل هذا الهدف الإستعماري العنيد.

لكن السياسة الإستعمارية الفرنسية تجاه الأهالي الجزائريين ظلت محكومة بالظروف الداخلية والخارجية ورغم إلحاح المثقفين الجزائريين الفرنكفونيين على فرنسا كي تعاملهم بمكيال خاص إلا أن مساعيهم المبحوحة أصيبت كعادتها بخيبة أمل، لأن فرنسا كانت تدرك جيدا ما آل إليه الوضع الداخلي بالجزائر من خلال استفحال ثورة التحرير، وكانت تعلم أنها لو أقدمت على هذا الفرز المميز لأعوانها من الخدام الأوفياء كما كانت تسميهم في أخريات القرن التاسع عشر، فإنها ستقع في خطأ مكلف وباهض لسياستها، لكنها ما فتئت أن تداركت الموقف حتى تجعل هؤلاء المثقفين الجزائريين التابعين لها يعاودهم الأمل من جديد فأوعزت لجاك شفليي (Jacques Chevalier) أن يعمد إلى توجيه النداء لفتح حوار مزعوم في صحيفة «صدى الجزائر» (Echo D'Alger) أسماه حوار بين جزائريين وذلك في ديسمبر من عام 1950، وهو نفس المشروع تقريبا الذي قدم فيما بعد من طرف الحاكم العام سوستال عام 1955 ولكن بتسمية جديدة وهو قوله :

«اليوم لقد أقدمت فرنسا على اختيار، وهذا الإختيار يسمى (L'integration) أي «التكامل» والالحاق، ويعني أنه من الممكن جعل الجزائر إحدى المقاطعات الفرنسية بنفس المستوى مع كل مقاطعات فرنسا أو مقاطعة لابروطانيLa Bretagne» لكن خير شاهد على وضع المثقفين الجزائريين الفرنكفونيين المتعلقين بفرنسا هو جون پول بالوسكي (Gean-Paul Palewsky)الذي يصف حالهم أمام مماطلة السياسة الكولونيالية في الإسراع بضمهم لها، وقد باتوا مستهدفين من تصاعد حركة التحرير الجزائرية المسلحة حيث يصفهم وصف الأرامل أو اليتامى الذين يناشدون فرنسا وعيونهم مغرورقة بالدموع، متوسلين اليها على حد تعبيره بهذه الكلمات الجبانة: «قل لنا، بل قولوا لنا ماذا يمكن أن نفعل لكي نصبح فرنسيين؟ لكي نكون فرنسيين ومقبولين من طرفهم كمايستقبلون الفرنسي سواء كان من أبناء مقاطعات فرنسا أو من الجزائر!»

مثل هذا الإحساس بالإنتماء إلى فرنسا والمعبر عنه من طرف النخبة الجزائرية الفرنكفونية شجع سوستال على اغتنام الفرصة ليحصل على شبه إجماع المنتخبين المسلمين بستين صوتا من تسعين لتعجل فرنسا بتطبيق القانون الجديد المعروف بقانون Integration التكامل أو الإلحاق، وكان الناطق باسم المسلمين المنتخبين آنذاك والمعبر عن رغبتهم هذه الدكتور بن سـونة BENSOUNA من تيارت، وعبد الرحمان فارس نائب رئيس الجمعية الجزائرية الذي تناول الكلمة بدوره ليعبر عن قناعته بضرورة التعجيل بالحاق الجزائر بفرنسا، «لكن بعض المصادر تقول أن هذا الأخير قد غير رأيه وطالب فرنسا بضرورة فتح الحوار مع ممثل الشعب الجزائري الحقيقي جبهة التحرير الوطني، في حين نجد رفيقه علي شكال يظل مستميتا في مواقفه ومؤيدا لفكرة إلحاق الجزائر بفرنسا إلى ساعة تصفيته جسديا من طرف أحد فدائيي ثورة التحرير وذلك في 26 ماي 1957 حيث أكد هذا الأخير بعد اغتياله لهذا الإندماجي الجزائري قائـــلا: «اليوم يقتل آخر

أصدقـــاء فرنسا(Le dernier Ami de la France)[1] لكون هذا المجاهد المتحمس نسي أن في جعبة فرنسا الآلاف من أمثال علي شكال من الجزائريين، ولم يكن يدرك أن أنصار من أسمتهم فرنسا بلجنةComites De Salut Public سيعود من جديد ويواصلون الدفاع عن خط الجزائر فرنسية ولو كره الثوار والوطنيون الاحرار والمناضلون الشرفاء في جزائر حرب التحرير الوطنية، وهذه اللجنة العميلة لفرنسا من الجزائريين راحت تتطور لتتحول فيما بعد إلى ما سيعرف بجبهة الجزائر فرنسية (FAF) عام 1960 (Front de L'Algerie Francaise)، وبالإضافة إلى هذه المشاغب المتتالية المتصدية لعدم استقلال الجزائر نجد عددا كبيرا من المنتخبين الجزائريين يصوتون عام 1961 لصالح برنامج الجنرالات الاربعة الرافضين للحوار مع جبهة التحرير الوطني ممثل الشعب الجزائري .

من هناك يمكننا أن نستخلص كما استخلصت بعض الدراسات الاكاديمية الجادة والحديثة أن عددا لا يستهان به من الإنتلجنسيا الفرنكفونية الجزائرية ظلت تعمل إلى آخر أيام ثورة التحرير ضد استقلال الجزائر، وظلت متمسكة إلى الرمق الأخير كما يقال بفكرة ضرورة إلحاق الجزائر بفرنسا، أو ما يسمى بفكرتي (Integration Assimilation)، الدمج والتكامل أو الإلحاق. ومن هناك يمكننا قبل المضي في سرد الأحداث أن نتوقف ولو قليلا مع هذه المصطلحات القابلة للإلتباس، ونتمعن في الفوارق الدقيقة بينها .

ففكرة الإندماج (Assimilation) مثلا هي من الأفكار الإستعمارية القديمة وتهدف إلى القطيعة التامة مع الماضي الحضاري والروحي واللغوي للجزائريين، في حين نجد فكرة الإلحاق أو التكامل Integration مستحدثة وأقل تطرفا من الأولى وجاءت كبديل عنها، وأول من نادى بها هو فيوليت

---

1 ـ قاتل الخائن "علي شكال" هو المجاهد أحمد بن صدوق وكان عمره آنذاك 26 سنة ، وهو لا يزال على قيد الحياة حيث ظهر على شاشة التلفزة الوطنية في حصة أيام 30 و 31 أكتوبر عام 1993

كما سبق أن ذكرنا، ومفهومها نجده يتماشى وطموحات النخبة الجزائرية الفرنكفونية والفرنكومسلمة وتعني إلحاق الجزائر بفرنسا في شكل مقاطعة مع التمتع بجميع الحقوق والواجبات الفرنسية، وفي ذات الوقت محافظة الجزائريين على بعض قيمهم الروحية وتقاليدهم الإجتماعية؛ وهي فكرة إذا تمعنا جيدا في جوهرها نجدها ترضي حتى الفرنكولايكوشيوعيين، بل حتى الإنفصاليين البربر، لأنها في صميمها تفصل الدين عن القانون وتجعله أمرا ذاتيا بحيث يمكن لصاحبه أن يكون فرنسيا مسلما، أو فرنسيا بلا دين. هكذا كانت المفارقة الدقيقة بين المصطلحين وقد تعاقبا على أرض الجزائر حيث كان لكل منهما أنصاره وأحبابه، ولكن المتمعن فيهما جيدا يدرك أن هدفهما في الأخير واحد والفارق الوحيد الذي يميزهما هو حدة درجة التطرف في الإنتماء إلى فرنسا .

وهناك فرق دقيق آخر بين المصطلحين ربما لم ينتبه اليه كثير من الدارسين هو أن مصطلح (Assimilation) الإندماج جاء في مخطط الإستعمار الفرنسي ليستهدف الفرد الجزائري، كوحدة مستقلة عن باقي أعضاء المجتمع الجزائري، في حين كان مصطلح التكامل، أو الإلحاق، (Integration) يستهدف الجماعة، لذا تداركت فرنسا في مسارها الإستعماري للجزائر وسارعت بتصحيح الخطإ التاريخي الذي وقعت فيه فسعت إلى تقديم التكامل على الإندماج حيث بواسطة سياسته تتمكن من احتواء الجزائري نهائيا ولو أدى الأمر إلى استقلاله عنها ظاهريا، وكانت فرنسا مقتنعة في قرارة نفسها أن المصطلحين في آخر الأمر يحققان هدفا واحدا ألا وهو فرنسة الجزائريين وإلحاقهم بفرنسا، ومن هناك كان الجنرال ديغول واضحا في خطابه الموجه للجزائريين حيث أراد أن يرفع عن أعينهم هذا الإلتباس اللغوي بين المصطلحين ففضل مخاطبة الجزائريين عام 1959 بمصطلح واضح هو «الفرنسة» كمرادف مباشر لكل من المصطلحين السالفي الذكر .

جناح الطلبة الجزائريين الفرنكو مسلمين التعاونيين :

هذا التيار الفرنكفوني الموازي أو المكمل للتيارات الطلابية الجزائرية الفرنكفونية الأخرى تتمحور أفكاره منذ ما قبل 1914 إلى غاية 1936 حول محورين أساسيين: محور يرمي إلى الاندماج لكون دعاته نخبة من المثقفين الفرنكوفونيين الجزائريين والحاملين لثقافة فرنسية معمقة. ومحور تغلب عليه خصوصية الإزدواجية مع ترجيح الفرنسيية طبعا ، حيث أعلن تمسكه بالهوية العربية الإسلامية ممثلة في الحضارة العربية الاسلامية وهو تيار يعمل من أجل المحافظة على مقومات الأمة الجزائرية ولكن في إطار «تعاوني» أو «شراكي» إن صح هذا الاصطلاح (Association) مع فرنسا أو فدرالي ، وهو توجه قريب شيئا مامن التيار الوطني المعتدل ولكنه ظل دائما محافظا على الخطوط الفاصلة بينه وبين هذا الأخير. وكان على هذا التقارب الايديولوجي أن ينتظر ساعة الحسم في أعقاب اندلاع ثورة التحرير ليحسم التداخل ويتضح مسار كل من التيارين .

إن أيديولوجية هذه النخبة الفرنكومسلمة تتمثل أيضا في المطالبة المبكرة بحقها في التمتع بالقانون الفرنسي مع رغبتها أيضا في التمتع بامتلاك الجنسية المزدوجة (Naturalisation Mixte) وحتى لاتتعرض للإنفصام عن بقية الشعب الجزائري طالبت هذه النخبة بحقها في التمثيل البرلماني الفرنسي وتوسيع رقعة هذا التمثيل في الجمعية الجزائرية . لكن الأحداث المتتالية راحت تعمل على ضرورة فرز هذا التيار لتجعله ينقسم إلى قسمين متباينين : قسم ظل يطالب بحقه في الهوية المزدوجة. وقسم راح يطالب بحق المواطنة في إطار القانون الفرنسي مع الحفاظ على الهوية الأصل. وهذا التيار كان يمثله الأمير خالد خريج الكلية العسكرية الفرنسية المعروفة بسان سير، وأحد الضباط الجزائريين الفرنكوفونيين المتخرج برتبة «قبطان» وأفكار الأمير خالد الوطنية المنسوبة إليه تشكك فيها بعض المصادر لأنه كان من دعاة من أسمتهم هذه المصادر «بالتعاونيين مع فرنسا» ؛ أي الذين يطالبون بالوحدة

مع فرنسا في إطار «شراكة» (Association)، ومطالبهم كانت تتمثل في حق الأهالي في التمثيل البرلماني بباريس، لكن هذه المطالب ستبقى مع الزمن بعيدة عن مطالب الوطنيين التي ستظهر بوضوح في أعقاب أحداث ماي1945، وللاحاطة بتطور تحركات الامير خالد لابد من الرجوع إلى مجموع المقالات التي كتبها مابين 1922 ـ 1927 ونشرت من طرف فرحات عباس عام1931 تحت عنوان «الشاب الجزائري» (LeJeuneAlgerien)، ومن خلال هذه المقالات يمكن استخلاص مواقف فرحات عباس نفسه تجاه فرنسا حيث يلاحظ في مجملها أنها تصب في خانة التعاون، ولكن باسلوب حذر ولباقة تلميحية في غالب الأحيان، مع صراحة تنزلق من حين إلى آخر لترينا الوجه الحقيقي لفرحات عباس ومن لف لفه. إنهم أولئك الذين ما انفكوا يطالبون فرنسا بالاعتراف بهم كفرنسيين وفي الوقت نفسه مسلمين جزائريين. ولكن هذه الثنائية المهمة التي جاء شقها ليرضي الجماهير الرافضة لكل انتماء للإستعمار ـ وشقها الثاني ليرضي فرنسا ـ نجد النخبة الجزائرية بغباوة ملحة تظل تقفز على حبال مثل هذه العواطف حتى لاتقطع شعرة معاوية كما يقال بينها وبين فرنسا من جهة، وبينها وبين الشعب الجزائري من جهة أخرى، وأقول هذا من باب الاكتفاء بالاطلاع على مقالات فرحات عباس والتي من أهمها في رأيي «المثقف المسلم في الجزائر» L'intellectuel Musulman en Algérie الذي أهداه إلى أساتذته الفرنسيين من المدرسة الابتدائية الكولونيالية إلى الجامعة حيث يخرج القارئ لهذا المقال بعد تمعن وتفحص بخلاصة مفادها أن فرحات عباس وأمثاله لايختلفون في شيء كثير عن إخوانهم الفرنكوفيليين الآخرين. لكن الظروف والأحداث هي الفاصلة فقط بين توجهاتهم. أما الأهداف فقد ظلت بين الجميع تكاد تكون واحدة وذلك إلى غاية ساعة الحسم عام 1954 [1]. ففرحات

1- Guy Pervillé : Les étudiants Algeriens de L'université Francaise. p : 226-227

عباس رغم ترديده لما علمه عن الاسلام والمسلمين أساتذته المستشرقون المباشرون، أو غير المباشرين من أمثال ڤوتيي(Gautier)ومونتسكيو (Montesquieu) فإنه ظل كما تقيمه المصادر ممزقا بين وطنيتين: « المواطنة المكتسبة من الثقافة الفرنسية »، و« المواطنة الروحية المكتسبة من الإرث الحضاري العربي الاسلامي » في شكل تقاليد موروثة بالنسبة إليه وإلى أمثاله. فالأولى عقلانية وعصرية ، في حين أن الثانية رومنسية وتقليدية. لكننا مع هذا التمزق الجلي في أفكار فرحات عباس لايمكننا اعتباره إنسانا يعاني من انفصام في الشخصية لأنه بابسط استنتاج تمكن طوال حياته من فرض «التعايش التعاوني» في كيانه بين النقيضين، ولم يمتلك إلى آخر حياته كما تقول المصادر الشجاعة الكافية للحسم لصالح جهة على حساب الأخرى. إنه كان يطمح لتجسيد كل المراحل في حياته فلا يمكنك أن تبعده عن الإندماجيين، كما لا يمكنك أن تتخلى عنه داخل دائرة التكامليين، وكذلك لايمكن أن تنساه ساعة ذكر التعاونيين ودائما طبعا في حدود ما تسمح به «المصالحة» في كيانه بين المتناقضات ظاهرا، والمتممات لبعضها في الواقع. إنه الداعي وبإلحاح شديد إلى التزاوج بين فرنسا والمشرق. Le Mariage de La France et de L'orient. إنه باختصار رجل المصالحة مع الذات ومع الطرف المعادي الآخر حتى ولو كانت فرنسا .

وفي النهاية أقول إن التيارات المذكورة كانت كلها تعمل حسب أديولوجياتها المختلفة ومشاربها الثقافية المكتسبة لصالح الجزائر، أو ماكانت تراه مفيدا للجزائر وفي مثل هذه الظروف الصعبة جل من لا يخطئ .

بعض الإستنتاجات:

إن المطلع على هذه الدراسة التي حاولت قدر المستطاع رصد أهم المحطات النضالية والثقافية للحركة الطلابية الجزائرية منذ نشأتها إلى غاية تاريخ استقلال الجزائر قد يدرك في يسر، أو بعد تمعن تطور الأساليب التي انتهجتها هذه الحركة والوسائل التي سخرتها. إنها كانت حركة سباقة إلى ميدان النضال من أجل استرجاع الحقوق المغتصبة وافتكاك الإستقلال من يد الاستعمار الفرنسي الإستيطاني، لكن هذا النضال الفكري والنقابي الذي عرفت به الحركة الطلابية الجزائرية قد انتهج أساليب وأدوات تختلف كلية عن تلك التي انتهجها نضال حلول المواجهة مع المستعمر والعمل على القطيعة التامة معه ومع أذنابه ومن هنا يمكن استنتاج الملاحظات التالية:

1 - إن ما ميز نضال الطبقة المثقفة الجزائرية كونها صارت أسيرة للثقافة واللغة الفرنسيتين غنيمة المواجهة كما يسميها البعض، فبحكم تشبع هذه الأخيرة بأبعادها الفكرية واللغوية تحول عملها النضالي، فصار لايهدف في جوهره إلى مجابهة الطرف الإستعماري كهدف أسمى بقدر ما يهدف إلى إقامة الدليل والحجة عليه ، وهذا أسلوب كما نعرف غالبا ما ينتهجه المثقف بطبيعة تكوينه واختلاف نظرته للأشياء.

2 - إن أهداف هذه الطبقة المثقفة بالثقافة الفرنسية الإستعمارية اتضحت معالمها منذ مطلع القرن العشرين، أي مع تكوين الأجيال الأولى من حملة الثقافة واللغة الفرنسية فكانت غاية أهدافها المتوخاة من محصلة تكوينها وهو ما زرعته فيها المدارس الفرنسية ذات الأهداف المعروفة التي هي الوصول إلى صيغة أو أسلوب يمكنان الجزائري والفرنسي من القبول والإقتناع بإمكانية التعايش سواء بواسطة الإندماج الكلي أو الجزئي أو التكامل

المصلحي أو التعاون المتبادل، وهي مراحل من الأهداف والطموحات كما لاحظنا باءت كلها بالفشل واستحالة التحقيق على أرض الواقع لأن الإستعمار كانت أهدافه لا تلتقي مع أهداف غيره ولو عمد هذا الأخير إلى التقنع بما يرضي المستعمر ويحقق مصالحه.

3 ـ كانت هذه الطبقة المثقفة أبعد الشرائح الإجتماعية الجزائرية عن أسرار الواقع المعيش في محيطها الإجتماعي لذا لم يكن من أولويات هذه الطبقة التفكير ولو الضمني في ممارسة العنف ضد المستعمر، سواء كان لفضيا أو ماديا، وبحكم تشبع بعض عناصرها القيادية بالثقافة الفرنسية التي يغلب عليها المنهج الديكارتي العقلاني في التعامل مع الأشياء فانها ظلت حبيسة هذا الوهم الذي أجهد مسيرتها بمحاولات متكررة لتقديم القرائن المنطقية لتدمغ بالحجة والدليل مماطلات وتسويفات السلطات الكولونيالية، وهي لعبة وإن ظنت الطبقة المثقفة الجزائرية أنها مربحة إلا أنها أسقطتها في دائرة العدو المتحكم في خيوط حبكتها المسرحية والتي هي منه واليه...

4 ـ ما يلاحظ على سير الحركة الطلابية الجزائرية كذلك عدم التجانس الذي طبع مختلف وجهات النظر التي تمثلها التشكيلات الطلابية الفرنكفونية وذلك لاختلاف المشارب الإيديولوجية واتساع رقعة النضال ضد المستعمر مما جعل محاولة تطويق أساليب المماطلة التي ينتهجها المستعمر ترهق بالصراعات الداخلية مجهودات المثقفين الجزائريين بحيث كانت الوعود الإستعمارية المشار بها اليهم من حين لآخر غالبا ما تنتهي عند حد الوعود الكاذبة، وفي المقابل تعمل على تفكيك وحدة الصفوف الطلابية حتى تحرمها من وحدة القرار ووحدة المصير والأهداف.

5 ـ إدراك السلطات الاستعمارية المبكر لسلبيات وإيجابيات هذه الطبقة المنحدرة أصلا من صلب الاستعمار الثقافي والإجتماعي. لكنها مع ذلك ظلت تراهن على قدراتها كآخر ورقة يمكن أن تلعبها حين تعلن الفرصة المصيرية والحاسمة مع الشعب الجزائري. وهو الهدف الإستعماري الأسمى

الذي لم يتفطن له المثقف الجزائري بحكم تورطه في لعبة الجدلية الفكرية والثقافية الإستعمارية.

لقد عملت فرنسا جاهدة على تحييد هذه الطبقة عن واقعها وكذلك على خلق ما كانت تطمح إليه من قيامه بدور همزة الوصل بينها وبين الشعب الجزائري، ولاقامة مثل هذا الجسر المشبوه كان عليها أن تراوح في سياستها تجاه هذه الطبقة بما يمكن أن يبقى مؤجلا تحقيقه بالوعد أحيانا والتهديد بالوعيد أحيانا أخرى.

6 ـ إن السياسة الإستعمارية التي ظلت وفية لمبادئها الإستيطانية وحريصة على الحفاظ على مواقعها في مستعمراتها مهما كان الثمن، كانت على دراية بما يتحرك في الخفاء والعلن في أوساط القاعدة الشعبية التي لم تكن على صلة بالطبقة المثقفة الجزائرية، أو همزة الوصل كما أسمتهم فرنسا، ومن هناك كان هاجس الإستعمار الواضح في مخططاته، يكمن في الوصول إلى الكيفية والوسائل التي بواسطتها يمكن التصدي أو إجهاض مثل هذا الخطر الكامن في السواد الأعظم من الشعب الجزائري فقد عمدت إلى استخدام بعض الفصائل الطلابية الجزائرية المثقفة بالثقافة الفرنسية، وادخار بعضها الآخر لمناسبات مختلفة قد تكون أنسب، ومن هناك نجحت نجاحا شبه كلي في ضرب الجزائريين بالجزائريين وما قوائم الخونة الطويلة إلا دليل على نجاح مخططات الإستعمار الفرنسي.

7 ـ مع إخفاق مشروع الطبقة المثقفة الجزائرية في إقناع فرنسا بضرورة الإندماج والتعايش ورد الإعتبار للشخصية الجزائرية، كان على أنصار هذا التوجه أن يجدوا أنفسهم مخيرين بين أمرين: إما التعاون مع فرنسا صراحة وبشكل علني، وهو ما فعله البعض، أو الإلتحاق كراهة بأنصار حلول المجابهة وكانت خاتمة المطاف أمام هذه الخيارات الصعبة ـ كما أوضحنا في مسار الدراسة ـ الإلتحاق بأنصار الخيار الثوري، وهو اختيار يمكن أن ننعته بأنه كان إجباريا، ولذا يبقى التساؤل قائما وملحا هل الإلتحاق القصري الذي حصل

بين الطلبة الجزائريين وأنصار حلول المجابهة عرف تزاوجا طبيعيا، وأعطى النتائج المرجوة، سواء إبان الثورة أو إبان بناء الجزائر المستقلة؟ هذه التوقعات تحتاج إلى وقفة خاصة، ونبش دقيق لمعرفة الأسباب الموضوعية التي أوصلت الجزائر إلى ما نحن عليه اليوم، ألا يكمن ما تعانيه الجزائر اليوم من مشاكل واختلافات في ذاك التزاوج القصري الذي أفرزته مرحلة الإختيارات الصعبة؟ أو يكمن في نكث الإستعمار الفرنسي لوعوده التي منى بها أنصار الحلول الإندماجية والتعايشية وإجبارهم على ركوب الأصعب الذي لم يكن متوقعا في المنهجية التي لقن بعضهم مبادئها من أفكار جول فيرى وجون مار وأمثالهم؟؟...

أسئلة تبقى معلقة في انتظار من يجيب عنها في لحظة صفاء وتوفر المناخ المناسب. بل إرجاؤها إلى حين يكون من صميم أهداف البحث العلمي الدقيق.

8 ـ ولعل السبب الآخر هو ما اهتدى إليه الاستاذ المجاهد عمار وزقان في كتابه: "القتال الأمثل" Le Meilleur Combat. حيث لا حظنا ونحن نعيد التأمل في قراءة كتابه المذكور هذه المواقف المسجلة في الفصل الأخير من كتابه المعنون "بالجهاد الامثل" Le Meilleur Djihad إبتداءا من ص 299 - 303 ينتقد فيه الأساليب التي كانت متبعة من طرف الأحزاب الشيوعية العربية ومن بينها الحزب الشيوعي الجزائري وكذلك الانتلجنسيا الفرونكوفونية الجزائرية إذا يقول :

"لايمكن لأي حركة ثورية أن تصبو إلى النصر مالم تتجذر في واقعها التاريخي ؛ ولكي تتجذر يتوجب عليها تقديم الدليل المبين لمقاومتها المستميتة من أجل تعميق نظرية سياسية حقه . مثل هذا، هو الذي يفسر نجاح الشيوعية في الصين مثلا والذي يقول مؤسسها ماوتسي تونغ:

Si nous étudions le marxisme, écrit Mao Tsétong, ce n'est ni pour sa belle littérature, ni parce qu'il possède une magie que sert a conjurer le diable. il n'est ni magique ni beau : il est utile, tout simplement. p :13.

في حين يسجل إخفاق الأحزاب الشيوعية في الشرق الأوسط العربي

وإفريقيا الشمالية : فالأحزاب الشيوعية بهذه المناطق من العالم العربي لم تبذل العناية الكافية من الانتقادات النافذة في أعماق مجتمعاتها الإسلامية . لقد كانت جد صائبة ملاحظة M . Gilles Martinet حين أكد أن المنظرين الماركسيين من المغاربة لم يفهموا جيدا الفلسفة الشيوعية التي كانوا من دعاتها، إنها ليست في جوهرها أحادية التصور ولا معادية للدين الاسلامي، وقد فاتهم الفرق الشاسع الذي تسجله الماركسية وتأخذه بعين الاعتبار تجاه الدين المتجذر في الأوساط الإجتماعية، وكأنه ظاهرة طبيعية، وبين التعاليم الكنيسة والتي يمكن أن تكون رجعية في الواقع الإجتماعي أو تقدمية .

إنهم لم يفهموا درس لينين جيدا ، والذي يخول لرجل الدين مثلا حق الإنخراط المطلق في الحزب العمالي الثوري مادام يؤمن بأفكار يتضمنها برنامجه المناهض للإقطاع والرأسمالية . لقد قبلوا الدرس المناهض للدين على علاته فوضعوا في الكيس الواحد رجل الدين المسيحي الرجعي، والعلماء المسلمين المناهضين للكولونيالية ؟ ...

إن أصدقاءنا الفرنسيين تراهم يصدمون بهذا المنطق الغريب المتجذر في أعماقنا الدينية والمتواصل في أسلوبنا الاجتماعي العريق .

إن ردود أفعالنا كانت مغايرة تجاه الاسلام ، لأننا ثوريين في الصميم ومرتبطين بأواصر شعبنا ونعيش في بلد يرزح تحت نير الاستعمار أين الديانة الاسلامية فيه تمثل الغالبية الساحقة وتوجد معرضة للاضطهاد والمتابعة . فمناهضة الأيديولوجية الاسلامية هي أمارة حذلقة تتبناها نخبة جزائرية مفرنسة منفصمة عن أواصر شعبها ومستغربة واندماجية وخارجة عن نطاق الصراع ، وهذا من جراء وقوعها تحت نير الضغط الايديولوجي الاستغلالي للمستعمر الغاشم .

كثيرون هم الذين حكموا على الإسلام بالعقم وهم يجهلونه ؛ إنهم بهذا الصنيع يشاطرون جهالة رينان Renan الذي لا يرى في الدين

الاسلامي إلا مجرد مذهب يختفي وراء "السلسلة الأكثر ثقلا التي لم تحمل البشرية مثيلا لها"

La chaine la plus lourde que l'humanité ait jamais porté .

لكننا لحسن الحظ نعرف نظرية الاستاذ الفرنسي الكبير M. Maxime Rodinson المنشورة بعنوان "الاسلام عقيدة تقدم وحركة".

وهانحن نقدم كدليل نتائجها : "الاسلام فيما يبدو لي ليس أمرا سهلا ، ولا ظاهرة متحجرة ، ولا حدثا معزولا ، إنه ليس بأقل قدرة من أي إيديولوجية قادرة على التكيف أو التجاوب مع الحاجيات الجديدة المستحدثة . كل تاريخ العصورالوسطى يؤكد ذلك ، فالاسلام ليس سببا في الجمود ولا في التناحر والتعصب ، ولا في الوقوف في وجه التطور الاجتماعي ، ولا بمعطل لدولاب الفكر الحر . الشعوب الاسلامية : بالاسلام أو بدونه ، يمكنها أن تتقدم أو تتقهقر ، سواء كان حكامها متسلطين أو ديمقراطيين ، سواءا كانت شرائحها الاجتماعية تؤمن بتعددية الأفكار أو متشبثة بعصبية منغلقة على تقاليد بالية أو جديدة .

إن اللعبة لم تبدأ بعد والخسارة ليست أمرا مسبقا . الدول الاسلامية ستكون كما تشاء لها شعوبها وقادتها أن تكون، لكن مع كل ذلك يبقى هناك دور هام أمام كل من يريد أن يأخذ بيدها نحو التطور والحرية

فالاسلام ليس أيديولوجية مطلقة : لقد سمح وتسامح مع تعددية الاتجاهات . فالسنة النبوية عملت على إدخال حرية القول ضمن الواجبات الدينية، والخلاف بين الأمة اعتبر رحمة .

فحرية الجدل الأيديولوجي ازدهرت بفضل التسامح الاسلامي إلى أن بلغت في مناقشاتها حد المقدسات، واستمر هذا حتى في أيام انحطاط الحضارة العربية الاسلامية . فهناك العديد من المناظرات التي جمعت بين المتعلمين وبين رجال الدين فيما بينهم وبين المسلمين والمسيحين واليهود

وكذلك بين المتزمتين وغيرهم .

لذا يمكن مفاجأة المتثاقفين من نادي فوبور (Club du Faubours) الباريسي ، وكذلك الجمهور العقلاني الفرنسي المناهض للدين والمتشبث بالثقافة التجريدية بمثل هذه الطرائف النادرة ففي وسعهم مثلا - إن كانوا مطلعين - التلذذ بسخرية شاعرا كالمعري من كل المعتقدات ودون أن تقام عليه الحدود !

فعلى كل جيل أن يجد الحلول الملائمة لمشاكل عصره . لقد جدد العالم العربي آليات الإقتصاد العالمي وذلك بقلبه للمعايير الاجتماعية التي كانت سائدة في العالم الروماني والبيزنطي والمبنية على العبودية . فمن أهداف التحضر الذي شهده العالم العربي الاسلامي انبعاث التطور العلمي وازدهار الفنون والعقلنة والتطور الاجتماعي . يضاف إلى هذا امتداد الامبراطورية العربية الاسلامية من الفرات إلى المحيط " .

إن المؤرخين الأوربين في تصورهم يرجعون أسباب التقهقر الذي يعيشه العالم الإسلامي مرة إلى القضاء والقدر، ومرة إلى غلق أبواب الإجتهاد ، والمناظرات وحرية الابحاث الشرعية. من هنا يمكننا طرح مثل هذا التصور غير العلمي، فانكماش الحضارة العربية الاسلامية لا تعود أسبابه إلى الدين الاسلامي بل الاسباب العلمية الحقيقية يمكن العثور عليها عند باحث مغربي شهير وهو ابن خلدون مؤلف كتاب المقدمة ومؤسس علم المادية التاريخية ؛ فمواطننا كان الأول الذي كشف لنا النقاب معلنا أن العوامل الاجتماعية تخضع إلى قوانين تنبع أولا من التطور الاقتصادي ولا علاقة لها بالدين ولا حتى بالعرق لأي بلد كان .

... إن معرفة الماضي تنير السبيل نحو استكشاف المستقبل ولكي نؤسس جمهورية عصرية يجب علينا تطوير آليات أيديولوجية الدولة الجزائرية ، فعلينا أن نحصنها بدستور يسهل عملية انتصار العدالة

الاجتماعية ...

كما نجد الاستاذ عمار وزقان في آخر هذا الفصل يرد على الذين يخلطون في ترجماتهم المغرضة لمصطلحات خطيرة وجوهرية في المنظومة الاسلامية مثل مصطلح "الجهاد" والذي ترجمه المستشرق الفرنسي شارل بلا خطأ بمعادل للحرب المقدسة... لكن بعد استحضار وزقان لكل الدلائل الشرعية من آيات قرآنية وأحاديث نبوية وشروح العلماء يخلص إلى تحديد مفهوم الجهاد إلى معنى يدل على فهم جديد وصائب، وينبع أصلا من السنة النبوية الشريفة فيراه يعني بكل بساطة : "المجهود الجماعي «Effort collectif» الذي تبذله الجماعة الاسلامية من أجل النهوض بالمجتمع الاسلامي في ميدان البناء والتشييد . فعمار وزقان، وهو يخلص إلى هذا المعني تراه كمن أدرك المعنى الحقيقي من قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو عائد من غزوة بدر التي سجل فيها معنى الجهاد الأصغر ليقول قولته الشهيرة إلى الصحابة رضوان الله عليهم والآن سنشرع في عملية الجهاد الأكبر ...

ملحق خاص بـ :

المؤتمر القومي الرابع
للإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين.

بئر الباي «تونس»

من 26 جويلية إلى غرة أوت 1960

المؤتمر القومي الرابع
للإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين.

إنعقد المؤتمر القومي الرابع للإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في بئر الباي «تونس» من 26 جويلية إلى غرة أوت 1960 ، فكان أسبوعا حافلا بالنشاط والعمل المتواصل .

وقد افتتح المؤتمر يوم الثلاثاء 26 جويلية 1960 في الساعة الخامسة عشية تحت إشراف رئيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية فرحات عباس، وبحضور كاتب الدولة للرئاسة والدفاع السيد الباهي الأدغم، والسيد عبد الحميد مهري وزير الشؤون الإجتماعية، ورجال السلك الديبلوماسي والصحافيين العرب والأجانب.

افتتح الحفل رئيس الإتحاد الأخ مسعود آيت شعلال بكلمة ضمنها الخطوط العامة لسياسة الإتحاد، ، ثم تقدم رئيس حكومتنا في عاصفة من الحماس والتقدير فألقى خطابا منهجيا عظيما قاطعه الحاضرون المرات العديدة بتصفيق استحسان وإعجاب سيسلمهما كل من يقرأ نص ذلك الخطاب منشورا على صفحات هذه المجلة، ثم تداول رؤساء الوفود المدعوة على المنصة فألقوا كلمات كلها مساندة وتضامن للكفاح التحريري البطولي الذي يخوض غماره شعبنا الأبي.

وفي الغد شرع المؤتمرون في أعمالهم التي دامت أسبوعا كاملا توزعوا فيها على لجان عديدة درست مشاكل وقضايا الإتحاد الداخلية والخارجية بروح إنشائية موضوعية أدهشت الملاحظين الأجانب وقد انتهي المؤتمر بانتخاب الهيئات الجديدة للإتحاد والمصادقة على مقررات هامة يجدها القراء منشورة بهذه المجلة.

مجلة الشاب الجزائري : السنة الثانية / العدد 14 و 15 لشهري أوت وسبتمبر 1960 طبع الشركة التونيسية لفنون الرسم - تونس من ص 13 إلى 41 عدد خاص بالمؤتمر.



خطاب الرئيس فرحات عباس في مؤتمر الطلبة الجزائريين.

سادتي ...

رفاقي الأعزاء ...

إخواني أخواتي ...

باسم الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية وباسمي الخاص أحيي كل الطلبة المجتمعين هنا بالمؤتمر الوطني الرابع للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين وأقدم لهم أحر تمنياتي بنجاح أعمالهم.

إن هذا المؤتمر الرابع يفتتح بتونس وهو يعقد بفضل الكرم الواسع الذي لم يتوقف الشعب التونسي الشقيق منذ ست سنوات من اظهاره نحونا بأجلى وأروع مظاهره.

وإنني باسمكم أوجه إلى رئيس الجمهورية التونسية المكافح الذي لا يكل والصديق الحميم بورقيبة، وإلى الحكومة التونسية وممثلها في جلسة

الافتتاح هذه، السيد الباهي الادغم، تشكراتي الأخوية الحارة.

إن إجتماع هذا المؤتمر فوق الأرض التونسية الذي يعود إلى ظروف استثنائية فرضتها حرب الجزائر يعبر في نفس الوقت عن حقيقة تاريخية ثابتة ودائمة وهي الوحدة المغربية التي نتحمل واجبا عظيما في تجسيدها في كل أعمالنا، وللاجتماع في هذا المجال قيمة رمزية عظمى.

إن كل مغربي يعتبربين أهله في كل مكان من أرض المغرب العربي، إن وحدة المغرب العربي قد لبثت دائما حقيقة قائمة رغم الحدود المصطنعة التي أقيمت في وجهها والتي هي في الواقع حدود إدارية قبل كل شيء. إن التعاون الأخوي الخصب المثمر بين شعوب تونس والمغرب وليبيا والجزائر، سيجعل من المغرب العربي بناء قويا متينا ومجموعة ضخمة ستكون لها مكانتها الكبري في غربي البحر الأبيض المتوسط.

إن المغرب العربي سيكون عنصر توازن واستقرار في هذا الجزء من العالم وسيحقق كتلة واحدة في وجه النوايا الاستعمارية التي تحرك بعض الدول الغربية.

إن الإتحاد المغربي الذي حققه الطلبة ستحققه الشعوب أيضا، وإن شعوب المغرب العربي التي انضجتها الحوادث وصهرها الكفاح الطويل الشاق ضد السيطرة الاستعمارية ستعرف بالتعاون مع الشعوب الصديقة في كل القارة الإفريقية كيف تقضي على أعمال العدوان المتكررة ومحاولات التوسع والسيطرة للدول الاستعمارية التي ترفض أن تفهم أو تقبل سيادة الجار الافريقي.

إن كفاحنا سينبثق منه مغرب عربي موحد ومزدهر، وإن هذا التطور لهو خطوة طبيعية يمليها منطق التاريخ نفسه.

إني أحيي بكل تأثر ممثلي الشباب الطالبي في بقية الأقطار الأخرى، وإن وجودهم في هذا المؤتمر يبرهن عن الصداقة الحارة الوطيدة التي يحملونها

لطلابنا وعن العطف القوي الفعال الذي يبدونه نحو شعب يكافح منذ ست سنوات طويلة من أجل حريته واستقلاله.

ونحن نشكرهم على هذا العطف الأخوي.

أيها الطلبة الجزائريون

اسمحوا لهذا الطالب القديم الذي أريد أن أظل عليه دائما أن يعود بكم أربعين سنة إلى الوراء خلال الآلام وأنواع العبودية التي عرفها اشقاؤكم الكبار لكي تزدادوا ادراكا للطريق الذي قطعناه.

في تلك الفترة كان الفرنسي والاوروبي هو وحده صاحب الحق في الجزائر وكان الطلبة الاوروبيون فقط هم الذين يستطيعون أن يكونوا اتحادا عاما للطلبة وليس للطالب الجزائري حق الاشتراك فيه ومنذ 1920 فقط بعد مشاركة شعبنا في الحرب العالمية الأولى سمح للطلبة الجزائريين المسلمين أن يكونوا ودادية وإذا كانت مثل هذه الخطوة تعتبر في الظرف الراهن شيئا لا قيمة له فإنها حينئذ كانت تعد انتصارا كبيرا له أهميته الكبرى بالنظر إلى القانون الاستثنائي البائد الذي كان يرزح تحته شعبنا والذي كان يدعى إذ ذاك باسم قانون الاهالي.

وقد تشرفت برئاسة وداديتنا سنة 1926 وبالمساهمة في تحويلها إلى جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين بباريس، وقد واجهنا في هذا المجال مشاكل عديدة مثل مشكلة المحافظة على الثقافة واللغة العربية ومشكلة توجيه الطلبة وتخصصهم الدراسي.

وكانت هذه المشاكل كلها خاضعة حينئذ لعامل رئيسي واحد هو أولا وقبل كل شيء أن نعيش أحرارا . إن الجيل السابق قد واجه هذه المشاكل بشجاعة وثبات وحاول أن يحلها في اطار نقابي مطبوع بطابع الظروف الخاصة لكفاحهم.

فماذا كانت هذه الظروف؟

إن الإستعمار كما تعلمون قد بذل دائما كل جهوده للقضاء على ثقافتنا قصد احلال الثقافة واللغة الفرنسية محلها من الناحية النظرية على الأقل، والحقيقة أن الإستعمار منعنا من تعلم لغتنا دون أن يعلمنا لغته ، وهكذا نشر الجهل والأمية على مستوي واسع وبني عليهما فكرة التفوق العنصري وعدم استعداد الأهالي للتعلم والرقي.

وقد كافحت أجيال من الطلبة ضد هذه الفكرة الإستعمارية العنصرية البشعة .

وها أنتم تخلفون الأجيال السابقة وقدتغير الزمن وتطور العالم، إن مشاركتكم في الكفاح التحريري وفي المحنة الدامية التي فرضت على الجزائر تجعل منكم طليعة الثورة، غير أن الكفاح الصامد الجبار الذي يخوضه شعبكم ضد الاستعمار الوحشي الغاشم الذي تدعمه ماديا وديبلوماسيا بعض الدول العظمى، يجب أن يملي عليكم تضحيات جديدة، إني على يقين أننا نستطيع أن نعتمد عليكم وأنكم ستضاعفون جهادكم وطاقاتكم وشجاعتكم لمحق الاستعمار نهائيا وتحرير وطنكم تحريرا كاملا.

لقد استطعتم أن تقضوا على إحدى النظريات الإستعمارية العنصرية البغيضة ففي كل يوم تقدمون الأدلة الحاسمة على هذه الحقيقة اليقينية وهي أنه ليس هناك جنس متفوق وجنس منحط، وفي ست سنوات فقط إستطاعت الثورة أن تخلق من بين صفوفكم عددا من الخبراء والفنيين أكبر من العدد الذي كونه الاستعمار خلال 130 سنة من الإحتلال.

يجب أن نقول هذه الحقيقة ونكررها، إن إغلاق المدارس العليا للدراسات العلمية في وجه أجيال من الجزائريين ثم إتهامهم بعد ذلك بعدم الاستعداد وقلة الكفاءة لهي إحدى محاولات التزوير والاحتيال الاجرامية العديدة التي قام بها الاستعمار في بلادنا.

وفي هذا المجال يعتبر تأسيس الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين

في جويلية 1955 نقطة تحول حاسمة في تاريخ الكفاح الثوري الجزائري.

إن الطلبة الجزائريين بانفصالهم عن الجمعيات ذات الطابع الفرنسي الاستعماري وتأسيسهم لاتحادهم الوطني «الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين» قد حرروا الحركة النقابية الجامعية الجزائرية من العبودية الإستعمارية التي كانت تسيطر عليها، وإن إتحادكم العام النشيط الحيوي الباسل لم يتوقف أبدا عن المساهمة في الكفاح التحريري، وقد كتب لكثير منكم مجد الاستشهاد في ميدان الشرف وتعرض آخرون ومازالوا يتعرضون للتعذيب والموت البطيء في السجون ومعسكرات الإعتقال.

المجد للشهداء والمجد لكل الذين يتألمون في صمت داخل زنزانات الاستعمار السوداء.

وهكذا أيها الطلبة الجزائريون تدفعون ثمن دمكم الغالي لتعطوا للإنسان المستعمر قيمته الحقيقية، إن تضحيتكم في مستوى تضحية شعبكم، فالشكر الجزيل لكم.

ولكن إذا كنتم اليوم مستعدين للموت في سبيل حرية الجزائر فإنه يجب عليكم أن تتسلحوا بنفس الوعي والشعور بالواجب من أجل بناء الجزائر المستقلة وتشييد الوطن الجزائري الحر العزيز، إن منظمتكم القومية قد وزعتكم على مختلف الجامعات في جميع أنحاء العالم لتحقيق هذا الهدف العظيم، وانتم تدركون ثقل المسؤولية التي تحملونها الآن وأهمية المسؤوليات التي تنتظركم، حقا إن حرية الفرد مقدسة ولكن الفرد لا يستطيع أن ينعزل عن الهيكل الوطني الذي ينتمي إليه . إن تنمية الفرد لمعارفه الخاصة مهمة ضرورية ولكنها ليست كافية، إن تنمية معارف الأخرين وإغناءها بالتجارب الشخصية لكل واحد لهي ضرورة أعظم وأهم، وإن أفضل المهندسين لهو الذي يبني المدينة المشتركة إلى جانب بنائه لمنزله.

إن على شبابنا أن يضع هذه المطامح نصب عينيه . إن المهمة التي

يتحملها مهمة واسعة. فالقطر المستعمر هو حتما قطر متخلف ضعيف في كل الميادين ويجب عليكم أن تجعلوا من هذا القطر بلدا عصريا مجهزا بكل الوسائل الحديثة ليستطيع اللحاق بركب البلاد المتقدمة في العالم ومسابقتها في جميع الميادين.

إن كل هذا يعني أن على الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين أن يوسع مجال عمله لأنه في الجزائر المستقلة سيدعى إلى فتح صفوفه إلى كل الطلبة الذين قطعوا صلتهم بالماضي والعادات الاستعمارية وكل الذين يختارون أن يعملوا بنية صادقة من أجل تطور الوطن الجزائري وتقدمه، ولكي نقيم هذا البناء المشترك يجب أولا أن يزول الاستعمار. يجب أن ننتزع استقلال الجزائر لنجبر الاستعمار على الموت، ومادامت القوى الاستعمارية مطلقة الأيدي للعمل في الجزائر أو للظهور في العالم فلن تكون هناك أخوة حقيقية ولا سلام ممكن.

سيداتي إخواني

إن الحكومة الفرنسية تواصل سياسة الحرب الاستعمارية بعد أن تنكرت لتصريح 16 سبتمبر 1959 الذي اعترف لشعبنا بحق تقرير مصيره وفي التصرف الحر في مستقبله.

إن الجيش الاستعماري يزعم دائما أنه سيفرض علينا "تهدئته" وهو يجد التشجيع الدائم في عمليته الحمقاء لدى هؤلاء الذين يتحدثون كل يوم عن السلام ولكنهم يعملون كل ما في امكانهم لمواصلة الحرب وتقويتها.

إن القادة العسكريين الفرنسيين لم يتوقفوا أبدا عن ادعاء الانتصارات السهلة التي يكسبونها ضد السكان المدنيين العزل وهم يزعمون دائما أنهم يتعلموا شيئا ولم يستفيدوا أي درس من سنوات الحرب الطويلة.

وهو يدل أيضا على أنهم لم يفهموا شيئا من الحوادث التاريخية الكبري التي تهز عصرنا بعنف وتسجل نهاية العهود الاستعمارية في العالم.

إننا شعب فتي يريد أن يحتل مكانة تحت الشمس وهو شعب مؤمن بإنتصاره .

إن الشعب الجزائري واثق من النصر لأنه حين حمل السلاح في أول نوفمبر 1954 قد خلق أوضاعا جديدة لارجعة فيها، وإن شعبنا مؤمن بإنتصاره لأنه ليس وحده في كفاحه، فكل الشعوب العربية الواعية لمصيرنا المشترك تقدم باستمرار كل التأييد والمساندة الضرورية لكفاحنا وستظل إلى جانبنا بكل قواتها حتي ينتصر كفاحنا التحريري وإن الديمقراطيين الأحرار في كل أنحاء العالم وحتى في فرنسا نفسها والشعوب الحرة في آسيا وأمريكا اللاتينية تساند كفاحنا وتقف إلى جانبنا، إن هذه الشعوب الحرة حتى في حالة خضوع حكوماتها لأوامر الاستعماريين تستنكر الحرب الاستعمارية القذرة التي فرضت علينا وتزيد في كل يوم تضامنها مع الثورة الجزائرية تدعيما وتأكيدا.

وأخيرا ها هي إفريقيا هذه القارة الفتة في العالم تتحرك وتحطم قيودها أن الظروف التاريخية قد وضعت شعبنا في الصف الأول للكفاح من أجل تحرير قارتنا. وقد تحمل شعبنا عبء هذا الكفاح ودفع فيماأغلى وأسمى التضحيات وأننا على يقين أن إفريقيا الموحدة في كفاحها من أجل الهدف المشترك ستحطم نهائيا آخر قلاع الإستعمار والإستبداد .

ولهذا أعيد القول مرة أخرى بأن الحرب التي فرضها الاستعمار علينا لن تنقذه من زواله الحتمي وانهياره التام النهائي .

إن القادة العسكريين الفرنسيين الذين يخادعون شعبهم يعرفون هذه الحقيقة والشيء الذي يريدون تحقيقه هو الحصول على السلطة السياسية التي حصلوا عليها فعلا والسيطرة على ثروة الجزائر التي يقتسمونها الآن مع المعمرين الذين ارتبطوا بهم واشتركوا معهم في نهب شعبنا واستغلاله.

إن القادة العسكريين الفرنسيين يسيرون باسم خيالات العظمة القومية

الفارغة والافكار الزائفة عن الشرف العسكري نحو القضاء التام على كل امكانيات الاتفاق والتعاون بين الشعب الجزائري والشعب الفرنسي .

أما الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية فإنها من جانبها قد حاولت أن تحل المشكل الجزائري بواسطة التفاوض الذي هو الوسيلة الوحيدة والعادلة للمحافظة على حظوظ التعاون السلمي بين بلدينا .

لقد وافقنا على إرسال مبعوثين رسميين إلى مولان لإعداد شروط معقولة للتفاوض وهناك ظهرت النوايا الحقيقية للحكومة الفرنسية التي بينت لنا أنها من خلال التظاهر بدعوتنا إلى التفاوض كانت في الحقيقة تريد منا الاستسلام.

إن مسؤوليات استمرار الحرب قد اتضحت الآن وما دامت الحكومة الفرنسية ترفض التفاوض حول شروط التطبيق النزيه لتقرير المصير، وما دامت لم تتخل عن سياستها الاستعمارية القائمة على التخويف ومحاولة التهديد والتفرقة فإن الشعب الجزائري وجيشه التحريري الوطني سيواصلان كفاحهما بصمود وثبات تام حتى النصرالأخير .

إن إنتصارنا هو إنتصار للحرية والديمقراطية والاستقلال الوطني.

أيها الطلبة الجزائريون

إن مؤتمركم هذا ينعقد في فترة حاسمة من تاريخ حربنا التحريرية، إن هذه الحرب ستتواصل وتشتد بسبب تعنت الاستعماريين وتعصبهم الاعمى.

إن الواجب يفرض علينا أن نضاعف طاقاتنا ونزيد من يقظتنا الثورية وندعم وحدتنا ونتحمل رسالتنا المقدسة بقوة وصمود حتى نحقق اهدافنا العظمى.

ولن يوقفنا في سبيل تحقيق استقلال الجزائر وتحرير شعبنا من مخالب الاستعمار العنصري البغيض.

إنكم ستبحثون المشاكل التي تطرح أمامكم، وستحددون الموقف الراهن في بلدكم وتدرسون بعض المسائل التي يطرحها عليكم وجود ثورتنا التحريرية، وستؤدون مهمتكم بحماس بالغ تضعون فيها كل ما في نفوسكم من أيمان حار وعقل واع سليم وأنا واثق بأنكم ستبذلون كل جهودكم لتكونوا في مستوى الحوادث التي نعيشها.

وإنني على يقين تام بأنكم ستخرجون من مؤتمركم بقرارات تنير لكم اهدافكم وتعطي للكفاح الذي هو كفاحكم مزيدا من القوة والفعالية.

وأتمنى لكم نجاحا تاما في أعمالكم.

يحيا المؤتمر الرابع للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين

يحيا الاستقلال الوطني والتضامن بين الشعوب ضد الاستعمار.

تونس في : 1960/07/26.

من كلمات الوفود

شارك في الحفل الافتتاحي للمؤتمر الرابع للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين 29 خطيبا عن : المغرب - تونس جمعية طلبة شمال افريقيا بفرنسا - مكتب تنسيق "المنظمة الدولية الغربية" - الندوة العالمية للطلاب - الاتحاد العالمي للطلاب "المنظمة الدولية الشيوعية" - العراق - فلسطين - الجمهورية العربية المتحدة - لبنان - الطلبة السود بفرنسا - مدغشقر - قواد لوب - الصين - بريطانيا - ألمانيا الغربية - ألمانيا الشرقية - بلغاريا - فرنسا - امريكا - رومانيا - سكندينافيا - سويسرة - تشيكوسلوفاكيا - الاتحاد السوفياتي - يوغسلافيا - فيتنام الشمالية - الشبيبة الديمقراطية - ايطاليا - بولونيا.

هذا زيادة عن ثلاثة خطباء تكلموا باسم منظماتنا القومية: الاتحاد العام للعمال الجزائريين - المرأة الجزائرية - الشبيبة الجزائرية.

ونورد فيما يلي مقتطفات من بعض تلك الخطب :



الاتحاد العام للعمال الجزائريين:

إن الاتحاد العام للطلبة الجزائريين ليس هو منظمة ثقافية فقط تدافع عن المصالح المادية والادبية للطلبة، ولكنه أيضا وبالاخص منظمة شباب مثقف مهمتها إحياء وتنمية الشخصية الجزائرية في إطار المغرب العربي بهذا الجز

الشمالي من افريقيا، وهو الجزء الذي لا يتجزأ من الوطن العربي.

ممثلة المرأة الجزائرية :



« ...إن النساء الجزائريات من أمهاتكم وأخواتكم، يحيين فيكم هذه الروح الصامدة، هذه القوة الفلاذية، وهن يجددن، ويضعن فيكم الثقة الخالصة، أنتم الأمل والمستقبل، أنتم الذين إنخرطت شبيبتكم في حركة تحرير شعبنا، واستشهد الكثير منهم - فتيات، وشبان - فكانوا دليلا قاطعا على إتساع مشاركتكم في هذا الكفاح المقدس... »

ممثل الشبيبة الجزائرية :



« ... يعيش في خارج حدودنا خمسون ألف شاب لاجئين بتونس أو المغرب لا يجدون ما يتقون به الجوع أو الأمراض وغالبهم لم يجد مكانا بالمدرسة، ولكن في خضم هذه الآلام فإن الشبيبة الجزائرية التي علمتها المحن، تأمل وتعمل، وتكافح بعزيمة متواصلة، وحماس كبير... إنها تفكر في مشاكل مستقبلنا وتستعد لتلقي

ميراث الآباء على أحسن وجه، فتواصل الكفاح سواء في ميادين البناء والتشييد أو في ميادين الشرف...»

الاتحاد العام العالمي للطلاب :



« ...إن فكرة الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين أصبحت بين الطلبة والمنظمات الطلابية في العالم أجمع مبدأ يوحد، ورمز يوصي بالعمل!... إن الطالب الجزائري الابن الجديد بشعبه البطل، الذي أمسك بيده القلم والسلاح، والوطني الذي ضحى بحياته في الكفاح من اجل حرية واستقلال وطنه، هو الجواب الصحيح لمشكلة دور الطالب في المجتمع المعاصر.. »

مكتب التنسيق للندوة العالمية للطلاب :



«...إن هذا الاجتماع في المهجر لدليل على وحدة الوطنية الافريقية والتضامن المتزايد الذي سيؤدي إلى ربح المعركة ضد الاستعمار، لقد قاسى عدد كبير من الطلبة التونسيين والمغاربة من أجل تضامنهم مع الطلبة والشعب الجزائري، ونذكر أخاكم

الشاذلي بن زكوزة الذي سجن وعذب في فيفري 1958 حيث قنبلت مدرسة ساقية سيدي يوسف... ولن نتوقف عن التضحيات مالم تتحرر افريقيا...»

رئيس إتحاد الطلاب العرب :

«...إن الشيء الذي لابد من الاعتراف به ومع الكثير من الخجل أننا نحن العرب لم نعش حتى الآن القضية الجزائرية بالعمق والألم والتضحية التي عاشها شعبنا البطل في الجزائر، فأمام الدم الجزائري موقفنا من الثورة في أحسن الاحوال موقف الصديق أو العاطف أو المؤيد المقصر وتناسينا أنها ثورتنا جميعا وليست ثورة الشعب الجزائري فقط. وأغفلنا أنه على إنتصار هذه الثورة يتوقف مصير أماني المغرب العربي في الوحدة والتحرر والتقدم وما يترتب على تحقيق أماني المغرب العربي الغني بالتجربة التقدمية من اغناء لحركة الانبعاث العربي التي لن تبلغ مداها الامثل إلا بتفاعل التجربتين الثورتين بالمشرق والمغرب العربي.

ونحن العرب مطالبون أولا وقبل أيَ شعب آخر بالإرتفاع بتأييدنا إلى مستوى المساهمة الثورية. مستوى مشاركة الشعب الجزائري ثورته ماديا ومعنويا واعتبار بلادنا كلها في حالة حرب مع فرنسا، وانه لمن المخجل تاريخيا لبلادنا ان تبقى محتفظة بعلاقات اقتصادية وديبلوماسية مع فرنسا في الوقت الذي تعيش فيه الجزائر في أتون الحرب الاستعمارية.

إن منظمتنا الطلابية ستعمل على الاتصال بكل الهيئات النقابية للعمل معها بكل صراحة لوضع الحكومات العربية أمام مسؤولياتها التاريخية تجاه نضال الشعب الجزائري في هذه المرحلة ...»

ممثل فلسطين :



« .. إن عظمة الثورة الجزائرية تكمن في تعاظم الخطب الذي ألم بهذ الشعب طيلة قرن وربع القرن... وثورة الجزائر قامت على أوضاع شبيهة بأوضاع فلسطين... حكومة أغتصبت أراضيها وشعب دخيل يحكمه وأصحاب الأرض مطاردون من قبل الدخلاء .. »

ممثل الطلبة الصينيين :

« ... إن رغبة شعبنا وطلبتنا واحدة، وهي استرجاع وحماية استقلالنا الوطني ورعاية السلم العالمي. وعدونا واحد هو التوسيعة التي تترأسها الولايات المتحدة الامريكية. وهذا ما جعل الصداقة وثيقة بين الشعبين الصيني والجزائري ولا أنسى أن أردد تلك الكلمة التي قالها الرئيس موتسيتونق: "إننا نضع طاقاتنا، وإمكانياتنا المادية، والادبية، والبشرية التي تتمثل في ستمائة مليون نسمة تحت تصرف الجزائر" .. »



رئيس ا.ع.ط.ج يتسلم هدية ودية من رئيس وفد الصين

ممثل الإتحاد السوفياتي :

"في الجزائر" لايزال الاستعمار الفرنسي يسيل دماء الشعب الجزائري، والمستعمرون الفرنسيون يقتلون الاشخاص، ومايزال التعذيب مستمر... ولقد غضب الطلبة السوفياتيون جميعا لتعذيب الزبانية الفرنسيين لطلبة الجزائر حتى الموت .

ممثل الطلبة الامريكيين :

« ...لقد شهرت الجمعية القومية لطلبة الولايات المتحدة بكل استعمار لأن الاستعمار عبارة عن نفي حق الطالب في دراسة تراثه، ولغته وتاريخه، وثقافته القومية...

ونعتبر أن إستقلال الجزائر الناتج عن المفاوضات بين الحكومة الفرنسية،

والحكومة الجزائرية هو شرط أساسي للوصول إلى حرية التعليم ...»

ممثل الإتحاد القومي للطلبة الفرنسيين :

"علينا أن نهيء السلم، ولكن السلم الذي يمكن الجزائر من اختيار مستقبلها وتمكن الشعبين الفرنسي والجزائري من الوصول إلى قاعدة جديدة يبنيان عليها تعاونهما".

ممثل طلبة يوغسلافيا :



« ... أصدقائي أريد أن أقنعكم بأن لكم في كل طالب يوغسلافي صديقا وفيا تستطيعون الاعتماد على صداقته، وعلى مساندته لكم دائما ونود مخلصين أن تنتصروا، وأن ينعقد مؤتمركم القادم في جزائر منعتقة مستقلة..»

نحن نبني جمهورية متصلة بماضينا وحاضرنا



في مساء الأحد 31 جوينية 1960 حضر الأخ عبد الحميد مهري وزير الشؤون الثقافية والاجتماعية الجلسة العامة للمؤتمر وقد استقبله الطلبة استقبالا حارا وطلب منه رئيس الجلسة القاء كلمة على المؤتمرين ألقى هذه الكلمة البليغة.

إخواني :

أريد أن أذكر الآن وأنا بينكم في هذا المؤتمر منظرا لا أستطيع أنساه طول حياتي. منظر شاهدته في طفولتي وبقيت صورته حية في نفسي على الدوام. كان الناس في إحدى القرى الصغيرة بالجزائر مجتمعين كعادتهم في المقاهي وعلى جانب الطريق، وفي هذه الأثناء كان شاب قروي مارا بالطريق وهو مثقف ثقافة فرنسية انتقل إلى المدينة وتخرج بشهادة جامعية وأصبح ممن نسميهم بالنخبة المثقفة في البلاد.

ولكن القرويين كانوا عند مروره يتبادلون الهمسات ويقولون في أسف وحسرة أن ابن فلان أخذه الفرنسيون. لقد أحست القرية أن هذا الشاب المثقف لم يعد ينتمي إلى القرية ولم يعد ينتمي إلى أمته وإلى أسرته الوطنية،

ولم يكن مثل هذا الشاب المثقف ثقافة فرنسية فريدا في نوعه بل كان نموذجا لجيل من المثقفين انفصوا عن تراثهم القومي وأنكروا أمتهم وشخصيتهم المتميزة وذابوا في الشخصية الأجنبية التي سحرتهم ثقافتهم وبهرتهم طرق حياتها.

واليوم يا إخواني ياتي مؤتمركم هذا دليلا حاسما على رجوع جيل كامل إلى الأمة وإلى الحظيرة الوطنية. فالاستعمار الفرنسي الذي أراد أن يخلق نخبة مشوهة الشخصية منفصلة عن أمتها تخدم ركابه وتنفذ أغراضه قد خاب في مسعاه ودليل هذا الفشل هو انعقاد المؤتمر الوطني الرابع للطلبة الجزائريين.

إن هذا المؤتمر يمثل هذه الحقيقة قبل كل شيء، وهو أن ما كنا نسميه بالنخبة التي كانت ترى في نفسها طبقة منفصلة وممتازة عن الشعب قد رجعت إلى الحظيرة الوطنية وأنها على اختلاف مدارسها وثقافتها قد أصبحت تلتقي جميعا في حمى الشخصية الوطنية الجزائرية.

ولكن إذا رأينا اليوم روح التفاهم والحماس تحرك جميع طلابنا الذين التفت مشاعرهم وأفكارهم وتوحدت غاياتهم القريبة والبعيدة فإنه يجب أن لا ننسى أن هناك من جملة مخلفات الاستعمار مشكلة ثقافية في بلادنا وطرفاها هم ما كنا نسميهم بالمثقفين ثقافة عربية والمثقفين ثقافة فرنسية.

لقد كان المثقفون باللغة العربية في الماضي ينهلون من منهل الثقافة القومية وهم مرتبطون بالشخصية الوطنية الأصلية والتراث القومي العريق ولكنهم كانوا محدودي النظرة والثقافة لأن الاستعمار لم يمكنهم من تطعيم ثقافتهم التقليدية بالثقافة العصرية، فإذا كانوا مرتبطين ارتباطا وثيقا بتراثهم ووطنهم فإنهم من جهة أخرى كانوا بسبب حواجز الاستعمار منفصلين عن عصرهم.

أما الآن فإن هذه الحالة قد تغيرت وإني لشديد السرور بأن أرى من كانوا يدعون بالمثقفين ثقافة تقليدية هم الآن جنبا إلى جنب مع إخوانهم إذ تمكنوا من لحاق الركب وجمعوا إلى جانب الثقافة القومية الأصلية ثقافة

عصرية متينة تمكنهم من القيام بدورهم الكبير في بناء وطنهم.

أما الطرف الثاني الذي كان ينظر إليه الشعب على أنه انفصل عن تراثه وأمته فهو بدوره قد اندمج في صميم الأمة عن طريق هو أقرب الطرق وأشرفها وأقواها وهو المشاركة الفعالة في الكفاح التحريري الذي عزز صلتهم بالشعب وأعاد ربطهم بتراثهم وقوميتهم.

حقا إني أرغب رغبة حارة من إخواننا الطلبة الذين لم يتمكنوا من استيعاب الثقافة القومية إن يبذلوا أقصى جهودهم في هذا السبيل وإن يكون تعلم اللغة القومية بالنسبة لهم هدفا أساسيا لأنهم بغير ذلك سيظلون وإن شاركوا الأمة مشاعرها عاجزين عن فهم نفسية شعبنا وإحساساته الخفية.

لقد كنت أقول لإخواني الطلبة الذين لم يدرسوا سوى اللغة العربية أن الثقافة التقليدية وحدها وإن جعلتهم متصلين اتصالا وثيقا بروح الأمة وشخصيتها وتراثها فإن انفاصلهم عن روح العصر يمنعهم عن ادراك المشاكل الحقيقية لشعبنا وعلاجها علاجا ناجعا يساير تطور الحياة وتقدم الإنسانية وكنت أنصحهم دائما بتعلم اللغات الأجنبية.

واليوم أنصح إخواني طلبة اللغات الأجنبية أن يتعلموا اللغة العربية لغتهم القومية ويعطوها أهمية كبرى لأن هذا هو السبيل الوحيد لحل المشكلة الثقافية في الجزائر، إن رفع مستوى المثقف التقليدي إلى مستوى الثقافة العصرية وتمكين المثقف ثقافة أجنبية من الاتصال بالثقافة القومية والاغتراف من منابعها الأصلية هو السبيل الوحيد لتمكين المثقف الجزائري من الارتباط بروح الأمة وروح العصر معا، ولكن كل هذا سيظل أمرا ثانويا إذا لم ينغمس المثقف الجزائري مهما كانت ثقافته في صميم معركة التحرر.

إن المثل الذي ضربه الطلبة الجزائريون سنة 1956 بإعلانهم الالتحاق صفا واحدا بالثورة التحريرية هو الذي أراد أن يجدده المؤتمر وإن يعلن أن الطلبة الجزائريين مازالوا على عهدهم وإنهم يعطون للمعركة التحريرية المكان

الأول في حياتهم.

إننا نجتاز في الوقت الحاضر فترة دقيقة في الكفاح التحريري ونرى مناورات استعمارية دنيئة تحاك لتقسيم وطننا إلى مجموعات مصطنعة يحاول الاستعمار أن يختلق لها وجودا ليس له أي أساس يعتمد عليه، ونرى بقايا الصنائع الاستعمارية يتطوعون لتغطية هذه المناورات وأحب أن يؤكد أن مؤتمركم حقيقة تؤمنون بها جميعا وهي أن الجزائر وحدة لا تتجزأ وإن هذه الوحدة القومية للجزائر لم تتكون الآن فقط وإنما كانت متكونة بالفعل قبل وجود الاستعمار وإنها ليست في طور التكـوين بل هي متكونة تامة التكوين والدليل على هذا هو صمود الشعب الجزائري في كفاحه الدائم ووحدته الخالدة ضد الاستعمار منذ وطأ الاستعمار أرض الجزائر ،إننا لا نفكر في بناء الجزائر على أسس عنصرية أو دينية متعصبة فنحن نبني في الجزائر جمهورية متصلة بماضينا وحاضرنا متصلة بقوميتنا وثقافتنا العربية الاسلامية ولكننا في الوقت نفسه لا نمانع في أن يسكن بلادنا وأن يثري أمتنا عنصر آخر من العناصر التي تود أن تعيش في الجزائر.

وإذن فالعنصر الأوروبي الذي ليس له صلة بتراثنا القومي لا يعتبر جزءا من أمتنا وإنما يمكن صهره داخل البوتقة الوطنية لانه يستطيع أن يثريها بعناصر جديدة إذا تخلى عن نزعته الاستعمارية.

هذا ما أردت في هذا المؤتمر أن أقوله لكم في كلمة موجزة نرجو أن يكلل مؤتمركم بالنجاح وإن تترجم القرارات التي تتخذ فيه إلى أعمال إيجابية ملموسة، أعمال تعبر عن الروح الثورية التي تحرك طلبتنا وتكون في مستوى الأحداث العظمى التي يعيشها في هذا الوقت وطننا العزيز.

التقرير الأدبي:

عندما اسندت إلينا شؤون الاتحاد في المؤتمر الثالث الذي انعقد في سنة 1957 بضاحية من ضواحي باريس كنا نعرف أن صعوبات جمة ستواجهنا وتقف في طريقنا من وجود مركز الاتحاد في أرض العدو وتحت رحمته، إلى الوضع النقابي والسياسي الذين يحياهما اتحادنا في ظل قوانين فرنسية جائرة، إلى الظروف النضالية التي يخوضها شعبنا في الجزائر ضد قوى الاستعمار الفرنسي والتي تتطلب منا نحن طليعة الشعب أن نحدد موقفنا، ونؤدي رسالتنا جنبا إلى جنب مع شعبنا العظيم في معركته التحريرية.

ولكننا قبلنا بهذه المسؤولية الضخمة شعورا منا بواجبنا المقدس وكفئة واعية مناضلة تعيش أحداث وطنها الذي يكتوي بنار الحرب الإجرامية، وكنا في عملنا هذا نستلهم أرواح إخواننا الذين ساهموا في بناء الإتحاد وقدموا دماءهم وأرواحهم فدى وطنهم العزيز أمثال بن "بعطوش وعمارة وحيحي وطالب ولونيسي .. وغيرهم، هؤلاء الذين ننحني اليوم إجلالا لذكراهم كما كان رائدنا في كفاحنا أولئك الذين حملوا السلاح والتحقوا بالجبال ليحققوا النصر لشعبهم، ويعيدوا إليه كرامته واسقلاله، وأولئك الذين يتألمون في السجون والمعتقلات ويذوقون من عذاب النفس والجسد ألوانا مريرة على يدي جلادي فرنسا، والذين يحتم علينا واجب النضال أن تكرم بطولتهم وترفع إليهم آيات الإعجاب والتقدير.

إن هذا المؤتمر الذي استطاع أن يحتضن جميع الطلبة الجزائريين المنبثين في أطراف العالم والذين جاؤوا من بلاد مختلفة في مبادئها وأهدافها ومثلها، كان يحدوهم في الواقع هدف واحد وتدفعهم فكرة مسيطرة أساسية ألا وهي الحرب الجزائرية والظروف الحتمية والنتائج التي تقود إليها في المستقبل، وهو



رئيس الإتحـاد يلقي كلمته في افتتاح المؤتمر

ما يتطلب منا أن نمحص هذه الظروف، ونحدد الوسائل والأهداف الثورية التي تضمن تحقيق انتصار ثورتنا وشعبنا.

ولن نستطيع فهم رسالة اتحادنا مالم نضعه في اطاره الطبيعي الذي هو الكفاح التحريري الذي يخوضه شعبنا منذ سنوات ست، فضمن هذا الإطار ندرك أن المشاكل الطلابية الثقافية هي في حقيقة أمرها ثانوية ومرتبطة بظروف المعركة التحريرية التي يتوقف عليها مصير الجزائر بأجمعها ومن ورائها القارة الافريقية.

فاتحادنا قد كون ليكون وحدة نضالية في اطار ثورتنا، وسيبقى كذلك في أن مواقفنا وأعمالنا مستمدة من توجيهات ثورتنا وحياة اتحادنا. مرهونة بنشاطها وظروفها.

حل الإتحاد ظروفه ونتائجه :

أمام النشاط العظيم الذي أظهره طلابنا تحت قيادة اتحادهم وأمام التضامن القوى الذي أظهره إضرابهم عن الدروس والامتحانات ومقاطعاتهم لقاعات الجامعات والمعاهد استجابة لنداء اتحادهم وإيمانا منهم بواجبهم، المقدس في ضرورة خوض المعركة مع شعبهم جنبا إلى جنب، أمام كل هذا لم يكن مستغربا أن تلجأ الحكومة الفرنسية إلى وسائل تعسفية وملاحقات بوليسية واعتقالات جماعية، ففي نوفمبر ١٩٥٧ اعتقل محمد خميستي، السكرتير العام للإتحاد وبعده بأيام اعتقل أعضاء من المكتب التنفيذي والإداري وحتى من أعضاء الفروع.

وكانت غاية السلطات الاستعمارية من ذلك هي تحطيم الاتحاد وتشتيت قواه وفك الاضراب وجعل طلابنا بالتالي يتخلون عنه ويعودون إلى متابعة الدراسة.

ولكن جميع محاولاتها باءت بالفشل، وكانت النتيجة الزيادة في النشاط والاستمرار في الكفاح والتجديد لقوي اتحادنا ولوسائله والتوحيد لصفوفنا وتجميع طاقاتنا لمجابهة الوضع الجديد.

رد الفعل :

وكان لابد لنا من اتخاد إجراءات سريعة لتدارك الموقف الذي نتج عن هذا العمل التعسفي والذي مس تنظيمنا وأثر على وضعنا الداخلي فكان رد الفعل، وحاولنا أن تجمع المكتب الإداري في ٤ فيفري ١٩٥٨ ولكن الصعوبات حالت دون اجتماعه غير أن ذلك لم يحل دون استمرار العمل، الذي كان ذا جانبين:

فمن ناحية رأينا ضرورة الاتصال بفروعنا وإعادة تنظيم صفوفنا داخليا

ومن جهة ثانية عملنا على توسيع علاقاتنا مع المنظمات الطلابية في العالم لتوسيع نطاق المعركة وإخراجها إلى ميدانها العالمي، وقد استطعنا في هذا الميدان الأخير أن نحقق نجاحا باهرا فقد إنعقد في لندن مؤتمر فوق العادة بطلب منا وتحت اشراف الندوة العالمية للطلاب من 17 إلى 19 ابريل 1959 . حضره ممثلو 22 اتحادا وطنيا.

واتخذ قرارات يستنكر فيها حل اتحادنا، ويشهر بالحرب الاستعمارية الفرنسية ويطالب بالتفاوض مع جبهة التحرير الوطني لحل قضية الجزائر حلا سلميا.

كما خصص إعانات مادية ومنحا دراسية لطلابنا الذين فروا من فرنسا، هذا من جهة ومن جهة أخرى أقام الاتحاد العالمي للطلاب أسبوعا خاصا للتضامن مع الطلبة الجزائريين من 24 إلى 30 مايو 1959 ومساعدتهم ماديا ومعنويا وكان اسبوعا مليئا بالنشاط احتلت فيه قضية الجزائر وثورة شعبنا المكانة الأولى من اهتمام العالم وكان علينا أن نغتنم الفرصة لنوضح للعالم عدالة كفاحنا ومطالبنا والواقع أننا قوبلنا في كل البلاد التي حللنا بها بعاصفة من الحماس والترحيب.

وهكذا حققنا ما قصدنا إليه من تعزيز مركزنا داخليا وخارجيا، بتأمين المساعدات وترميم الخلل الذي أحدثه حل الاتحاد من طرف السلطات الفرنسية في صفوف طلابنا وكاد يخلق لنا مصاعب عديدة من حيث تأمين دراستهم ومعاشهم ولباسهم، والتحق طلابنا بجامعات العالم ليتابعوا دراستهم بانتظام وهكذا حل المشكل الداخلي ، كما أننا استطعنا أن نعيد سهم العدو إلى نحره عالميا فبدلا من انتهاء أمر الاتحاد وإيقاف نشاطه وتحطيم قواه، والحد من مساندته لثورة شعبه ووطنه إذا بالاتحاد يخرج إلى الصعيد العالمي ويفضح مناورات الفرنسيين وأساليبهم الإجرامية ويقوم بحملة واسعة النطاق في الميدان الطلابي لإنارته وطلب مساندته، وكان من جراء هذا لعمل ، الاف

البرقيات التي انهالت على قصر ماتينون وجعلت الحكومة الفرنسية تضطرب في موقفها وتصاب بهزة نفسية قوية وتحاول التراجع دون جدوى.

ومن الواجب علي في هذا المقام أن أشيد بالمساعدات المادية والمعنوية التي وجدانها لدى إخواننا في تونس ومراكش والبلاد العربية الشقيقة، فقد فتح هؤلاء جميعا أبوابهم في وجه طلابنا وقدموا لهم ما يحتاجون إليه من الوسائل اللازمة لمتابعة دراستهم.

كما أن الواجب يدعوني إلى توجيه الشكر إلى المنظمتين العالميتين للطلبة اللّتان وفرتا لنا منحا وأدوية ولباسا لطلابنا كما قامتا بإصدار نشرات كان لها صداها في توضيح الوضع الذي وصل إليه طلاب الجزائر من جراء الحرب التي فرضها عليهم الاستعمار الفرنسي، وبالتالي كان لها تأثيرها في المساعدات التي جاءتنا من فروعها الوطنية، كألمانيا الشرقية وبولونيا والمجر وبلغاريا ورومانيا والتشيكسولفاكيا ويوغسلافيا وسويسرا وطلاب الولايات المتحدة الأمريكية وبلجيكا وكندا .. الخ ، ولا بد لنا من التنويه أيضا بالمساعدة التي قدمتها المنظمة العالمية للمساعدات الجامعية لطلابنا في سويسرا وخارجها وإلى مؤسسة فورد الأمريكية التي خصصت لنا منحا هامة، وهكذا ظهر التضامن العالمي تجاهنا وهكذا أثمرت جهودنا وخرجنا من المعركة منتصرين.

الوضع الداخلي:

فروعنا في المناطق المختلفة :

أ ـ تونس ومراكش :

لقد قام طلابنا في كل من تونس ومراكش بمجهودات جبارة وخاضوا المعركة الحربية جنبا إلى جنب مع إخوانهم، ولقد اظهروا في ميدانهم الطلابي اخلاصا وتفانيا في خدمة قضية وطنهم برغم الظروف السيئة التي كانوا يعيشون فيها وبرغم الإمكانيات المادية المحدودة، ولئن قمنا بمحاولات لتحسين حالتهم المادية والثقافية فأرسلنا عددا هاما منهم إلى البلاد العربية وأخرجنا بعضهم إلى أوروبا، وقمنا بتقديم تقرير عن أوضاعهم إلى المؤتمر فوق العادة الذي انعقد في لندن، وقامت بعض المنظمات بتحريات في صالحهم إلا أننا سنضاعف الجهود لرفع مستواهم وإخراجهم من الحالة المؤلمة التي يعانون منها آلاما مريرة.

في الشرق العربي:

يوجد الآن في الشرق العربي ما يقارب 200 طالب جزائري وقد اظهروا نشاطا ملحوظا وبذلوا مجودات لخدمة بلادهم، وهم اليوم في اطار الاتحاد الذي تمكن أن يضم جميع أبناء الجزائر في أنحاء العالم المختلفة في اطار واحد، وإننا لعلى يقين بأن انضمام طلابنا في الشرق العربي إلى الإتحاد سيضاعف من قوته، وأن خبراتهم سيكون لها أثرها في بناء صرح اتحادنا وتعزيز مكانته .

أوروبا وفرنسا :

برغم الاضطهاد والملاحقات البوليسية فإن طلابنا في فرنسا ظلوا يكافحون

وهو ما أوجد مشكلة في بداية الأمر وجعلنا نوجههم إلى تونس أو مراكش للإلتحاق بصفوف الثورة إلا أن جهودنا مع المنظمات العالمية ساعدت على تأمين منح لهم والحاقهم بجامعات العالم. وإذا كانت المنح لطلابنا في العالم إبان حل الإتحاد لا تتجاوز 20 منحة فهي اليوم تفوق 350 منحة وتضم 19 فرعا في جميع أطراف العالم الأمر الذي يدل على المجهود الضخم الذي قام به الإتحاد واستطاع به أن يواجه مشكلاته بروح الإخلاص والعمل الواقعي المفيد.

في الجزائر :

منذ اعلان الإضراب في جامعة الجزائر فر الكثير من طلابنا والتحقوا بالجبال، وقد استشهد بعضهم في ميدان الشرف، ومنذ ذلك الحين انقطعت أخبارهم عنا وصعب اتصالنا بهم إلا بعض التقارير الفردية ولئن دخل الجامعة عدد منهم في السنتين الأخيرتين إلا أنه قليل لا يتجاوز 300 إلى 350 طالبا خلافا لما تدعي الحكومة الفرنسية، وقد حاول الكثير من هؤلاء الفرار من الجو الإرهابي الخانق الذي تسلطه عليهم القوات الاستعمارية إلا أن الرقابة الشديدة حالت دون خروجهم.

اتصال المكتب التنفيذي بالفروع :

كان هناك وسيلتان للإتصال بفروعنا : النشرات والزيارات :

١ـ أما من حيث المعلومات والنشرات . فقد تمكنا في سنة 1959 من ارسال ما يزيد على 5 منشورا بالإضافة إلى كتابتنا على صفحات المجاهد، ومجلة الطالب العالمية سواء الشرقية أو الغربية، كما قمنا، بمساعدة المنظمتين العالميتين للطالب ، بنشر دراسات حول الاتحاد ووضعية طلابنا.

٢ ـ أما الزيارات فإن الإمكانيات المادية كانت لا تسمح بتنظيمها دوريا ومع ذلك فإننا كنا دائما نغتنم الفرص لزيارة فروعنا والتعرف على مشاكلهم عن كثب ودراسة أحوالهم ومراقبة نشاطهم.

نشاط الفروع :

إن عمل فروعنا كان في مجموعه مرضيا فالتوجيهات طبقت، والأعياد الوطنية أقيمت، والرأي المحلي أفهم، عن طريقهما، حقيقة الثورة الجزائرية إلا أن ناحيتين هامتين وقع التقصير فيهما.

١ـ هناك بعض الفروع لم توافي اللجنة المركزية ملخصات عن نشاطها وحاجياتها مما جعلنا نجهل مدى انتظام عملها.

٢ـ وبعضها الآخر كان أحيانا يقوم بتصرفات فردية ودون تعليمات من الإتحاد الأمر الذي يؤثر على سمعتنا وقد يوقعنا في مشاكل تمس سمعة الطالب الجزائري أينما كان، وهذا ما جعلنا نحرص، وخاصة في الظروف الثورية، على الطبقة المركزية للإتحاد حتى لا نقع في مثل هذه الأخطاء، علما بأننا تركنا حريات كافية واستقلالا داخليا لفروعنا لتعمل حسب متطلبات البلاد التي توجد فيها.

٤- الوضع العالمي

الدافع لتوسيع علاقتنا العالمية :

إن ظروف الحرب التي يخوضها اتحادنا دفعته إلى توسيع نطاق نشاطه الطلابي ورفعه إلى المستوى العالمي، لأن في ذلك مضاعفة لقوتنا النضالية من جهة ووسيلة لحمايتنا من تعسف المستعمر ولذلك عملنا ما في وسعنا لربط علاقات وثيقة بالمجموعة الطالبية في العالم وكان دخولنا إلى الندوة العالمية للطلاب في مؤتمر كولمبو في سنة 1956رغم المعارضة العنيفة التي ابداها الأوروبيون ، وبعد اشهر أصبحنا عضوا مشتركا في المنظمة العالمية للطلاب وبذلك حققنا اتصالا مباشرا بكافة الطلاب في العالم.

مبادئنا العامة :

كان علينا أن نعلن مبادئنا منذ اللحظة الأولى في هذا الميدان وكنا واضحين صريحين فيها :

أولا : أن نتعاون مع جميع المنظمات الطلابية والشباب على أساس من الأخوة الصادقة والمساواة بين جميع الإتحادات الوطنية .

ثانيا : أننا سنعمل بكل قوانا لمحاربة الاستعمار، ومساعدة البلاد التي تريد التخلص من أغلاله وإننا نمد يدنا إلى كل المنظمات التي تعمل حسب هذا المبدأ ونتعاون معها، وهذا ما جعلنا نبتعد عن بعض المنظمات التي لم توضح موقفها من الاستعمار ومن حق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها.

ثالثا : والمبدأ الثالث والأساسي هو الحياد الإيجابي لمنظمتنا واستقلالها في الميدان العالمي، إذا كنا دائما نتجنب المشاكل الخاصة التي تؤدي إلى تقسيم العالم الطلابي إلى جبهتين، وكان رائدنا هو مبادئ ومصالح ثورتنا،

والنضال التحريري للشعوب المستعمرة وليس معنى هذا أننا كنا انعزاليين في هذا الميدان إذ أننا كنا دائما نحرص ونعمل على تقريب وجهات النظر داخل الكتلتين ونحاول إيجاد تفاهم وتعاون بينهما كلما سنحت الفرصة ، وأستطيع القول أن عملنا بهذه المبادئ جلب لنا احترام وصداقة جميع المنظمات الطلابية وجعل اتحادنا يتمتع بهذه السمعة الطيبة.

أهدافنا:

إن الموجه الحقيقي والهدف الأسمى لنشاط اتحادنا هو إنجاح ثورتنا وتعزيز مركزها في العالم وكان عملنا هو إفهام الرأي العام الطلابي حقيقة الثورة الجزائرية والآلام التي يعيشها شعبنا من جراء هذه الحرب البشعة التي تهدده بالفناء ، كما كان علينا أن ننبه المثقفين الذين يعفرون الوجه الحضاري لفرنسا إلى الوجه الاستعماري الذي يناقضه تماما.

كما كان هدفنا الثاني اقناع العالم بأن بقاء الاستعمار وسفك الدماء البريئة عامل مهدد للسلام العالمي. وبذلك كنا نرمي إلى توجيه النشاط الطلابي إلى محاربة الاستعمار أينما كان، وتعبئته للقضاء على مخلفاته والأخطار التي تمكن في وجوده .

غير أن هذه الأهداف كانت تتطلب منا تقوية مركزنا وتنظيم صفوفنا من الداخل لأن قوة نشاطنا واكتساب احترام العالم كان يفرض انسجاما في أعمالنا وتنظيما محكما لإتحادنا، وبالمقابل فإن تقدير العالم الطلابي لنا ومساعدته كان له تأثيره الفعال على أوضاعنا الداخلية وتزيد في طاقاتها.

ولئن كان مثل هذه الأهداف يتطلب مجهودات جبارة ولئن كان عدد أعضائنا في اللجنة التنفيذية غير كاف لتحقيق المكانة المرموقة التي هدفنا إليها، فإننا مع ذلك قد حققنا كثيرا من أهدافنا وفرضنا احترامنا على المجتمع الطلابي وأصبح صوت الجزائر مسموعا في جميع قارات العالم وغدت قضية

الجزائر واضحة مفهومة في أذهان الطلاب .

نتائج علاقاتنا الخارجية :

ليس هناك قضية في العالم أجمع عليها الطلاب ونالت من التأييد ما نالته ثورتنا وبالتالي اتحادنا، إذ لا يوجد إتحاد وطني أو عالمي لا يساندنا في كفاحنا التحريري ، ولئن كان الفضل في هذا يعود إلى بطولات شعبنا بالدرجة الأولى فهو يعود أيضا إلى المبادئ الأساسية التي سار عليها اتحادنا وإلى النشاط الحي الذي أظهره طلابنا في جميع أنحاء الدنيا معرفين بثورتهم العادلة مفندين دعايات العدو مما ضيق الخناق عليه وجعله يلتجئ إلى وسائل البطش والإجرام تجاه طلابنا عن طرين اليد الحمراء كما هو الحال بالنسبة للشهيد عيسو أكلي وغيره ممن اغتالتهم يد الاجرام الفرنسية لشدة حنقها وتضايقها من نشاطنا كما جعل العدو يوعز إلى سفاراته وقنصلياته بضرورة الحد من نشاطاتنا والاحتجاج لدى الحكومات ضدنا.

وهذه في نفسه انتصار هام لقضيتنا ونتيجة باهرة حققناها، كما أن المساعدات التي تكلمنا علهيا سابقا والمنح التي أعطيت لطلابنا في مختلف أنحاء العالم نتائج أخرى لسياستنا ونشاطها، وهناك اليوم مشروع مقتطعات يبيعها الكوسيك في العالم لصالح طلابنا كما أن منظمة قد خصصت لنا أرعبين منحة جديدة لفائدة الطلبة الجزائريين إلى غير ذلك من النتائج المبهرة.

تحليل لعلاقاتنا مع المنظمات الأجنبية: -

١- الجامعة المغربية للطلبة: إن وحدة المغرب العربي "كما جاءت في القانون الأساسي" طبيعية وتاريخية ورغم الحواجز الاصطناعية المتميزة حاليا فإن شعبنا لم يكن إلا واحدا في حضارته وثقافته وينتظره مصير واحد وآمال واحدة ويشرفنا أن نكون أول من دعى إلى هذه الجامعة وعمل لها فمنذ 1955

، وبعد تكوين اتحادنا مباشرة والواقع أنه لو هذه الجامعة المغربية ما استطعنا تحقيق مثل هذه النتائج الملموسة، وفوق هذا فإن الجامعة تعتبر بالنسبة إلينا رمزا للقوة التي تصهر جميع طاقات أبناء المغرب لبناء هذا المغرب العربي الكبير ودليل ذلك هذا المؤتمر الذي ينعقد اليوم في أرض شقيقة، ولئن حدثت بعض الاختلافات أحيانا فإنما تعود إلى أمور ادارية طبيعية بالنسبة لمنظمة فتية، أما الشيء الأساسي فكلنا على يقين من ضرورتها لنا جميعا بالإضافة إلى فوائدها .

٢ـ **افريقيا** : إن افريقيا تجمعنا بها وحدة الكفاح للتخلص من ربقة الاستعمار، فنحن من أسرة واحدة عملنا في لجنة الاتصال الافريقية معا، وقد وجدنا في افريقيا السند القوى في كفاحنا الوطني وعلينا توطيد هذه الروابط وتفنيد الدعاية التي تقول بوجود فوارق بين المستعمرات الانكليزية والفرنسية فكلنا اهينت كرامتنا، ونال منا المستعمر وعلينا أن نجابهه بوحدتنا وقوتنا فكلنا أبناء افريقيا البررة، وإننا إذ نغتم هذه الفرصة لتهنئة البلاد الافريقية التي استقلت حديثا، لحريصون على الاستمرار في النضال وبذل الجهود حتى تزول التفرقة العنصرية البشعة ويزول من ورائها آخر مظهر من مظاهر الاستعمار في افريقيا.

آسيا : إن الروابط التي جمعتنا بافريقيا والمبادئ التي وثقت علاقتنا هي تقريبا نفسها التي تربطنا بآسيا فالمبادئ التي أعلنها مؤتمر باندونغ تمسنا جميعا وتدفعنا إلى التعاون الودي فكلنا عانينا تجربة واحدة وعشنا ظروفا قاسية من الحرمان والضغط والتخلف وعلينا أن نعمل متماسكين لنعيد بناء شعوبنا وحضارتنا، ولا بد لي في هذه المناسبة من الاشادة بالصين الشعبية وما تقدمه من مساعدات وما تبذله من مجهودات تجاه البلاد التي تصارع

الاستعمار وتريد التحرر من أسره .

البلاد العربية: باعتبارنا جزء لا يتجزأ من العالم العربي فقد كنا دائما نرى أن على الطلاب العرب أن يكونوا في طليعة النهضة الحديثة، وان علينا أن نوثق أواصر الأخوة الطبيعية للعمل في تناسق، ووحدة ، وكان رأينا في هذا الصدد في كل مرة تقابلنا فيها مع المسؤولين منهم، أن تتكون منظمات قطرية تجمع الطلاب في اتحاد وطني، ثم تجمع هذه المنظمات القطرية في مؤتمر تحضيري للتفاهم على أحسن السبل لتنفيذ هذه المنظمة العربية وإخراجها إلى حيز الوجود والواقع.

واليوم وقد تكونت منظمات وطنية في كل من الجمهورية العربية والأردن وفلسطين فإن الظروف كلها مناسبة لاجتماع الشمل وعقد هذا المؤتمر الذي يجمع بين الإخوة .

إن الظروف الحالية جميعها تحتم علينا الاتحاد والعمل لبناء الأمة العربية التي كانت ولا تزال هدفا اسمى لنا وإذا كانت الحرب الجزائرية تعتبر حربا تهم جميع الشعوب العربية وتجعلهم يساندونها ماديا ومعنويا حتى النصر النهائي فإننا من جهتنا نعتبر بالمقابل جنودا للقضية العربية .

وهذا ما يدفعنا إلى بذل جميع جهودنا لإيجاد حل لقضية إخواننا اللاجئين الفلسطينيين العرب الذين أخرجتهم يد الصهيونية وشردتهم من ديارهم، فقد صممنا على الكفاح حتى تتحقق أهداف إخواننا العرب الفلسطينيين القومية، وسنعمل بكل جد وإخلاص لإنجاح قضيتنا العربية الواحدة.

العلاقات الدولية للطلاب : الإتحاد العالمي للطلاب.

كلنا يعرف موقف هذه المنظمة ومناهضتها للاستعمار، وحرصها على

استتباب الأمن وسيادة السلم في العالم، ومعارضتها للتجارب الذرية وسعيها لتوحيد الطاقات الطلابية في العالم منذ سنة 1956، وهذا ما جعلنا ننتسب إليها ونصبح عضوا مشتركا فيها غير أننا كنا دائما صريحين في مواقفنا معها وكل مرة نشعر فيها بتخطيها هذه المبادئ كنا نبدي معارضتنا وحيادنا، ولقد قدمت لنا هذه المنظمة يد المساعدة في جميع المناسبات عن طريقها أو بواسطة فروعها الوطنية فلها منا جزيل الشكر.

الندوة العالمية للطلاب

في مؤتمر كولومبو بسيلان وفي سنة 1956 فقط أعلنت هذه المنظمة موقفها المناهضة للاستعمار وبذلك خرجت من التناقص الذي كانت واقعة فيه بين العمل لصالح الطلاب وعدم محاربة الاستعمار وبذلك أيضا تقاربت وجهتا نظرنا، فدخلنا فيها كأعضاء منتدبين، وقد تلقينا على يدها كثيرا من العون والتشجيع، أما موقفها من جمع شمل طلاب العالم فقد عارضنا فيه وعلمنا وسنعمل بمساعدة المنظمت الوطنية الأخرى على تقريب وجهات النظر وخلق روح من التعاون الوثيق وإيجاد نوع من الوحدة الشاملة تضم جميع طلاب العالم.

منظمات الشباب :

عملا بمبادئنا في توثيق صلاتنا بجميع المنظمات العالمية للطلاب والشباب فقد كونا اتصالات مع منظمات الشباب سواء الشرقية منها أو الغربية إذ أننا بذلك نتمكن من المساهمة في بناء مستقبل الشباب وبالتالي في شرح مبادئ وأهداف ثورتنا العظيمة، فنحن اليوم أعضاء مراقبون في كل من الجامعة العالمية للشباب، والجامعة العالمية للشبيبة الديمقراطية بالإضافة إلى علاقاتنا الودية مع منظمات الشباب المحلية وقد شاركنا في جميع النشاطات التي

نظميت لهذا الغرض سواء في احتفالات فينا سنة 1958 أو مهرجان موسكو أو المؤتمر الافريقي للشباب الذي انعقد في تونس في سنة 1959.

أمريكا اللتينية :

إن الظروف التي يعيشها طلاب أمريكا اللاتينية متقاربة مع ظروفنا، فهم يواجهون ديكتاتوريات محلية مناهضة لحركاتهم، كما يواجهون استعمارا اقتصاديا يهدد مصالح بلادهم ولقد وجدنا فيهم في الزيارة الأخيرة حلفاءنا الطبيعيين الذين يشعرون بشعورنا ويساندوننا في مواقفنا، وقد كانت مواقفنا إلى جانبهم وخاصة الطلاب الكوبيين الذين ناضلوا في صفوف شعبهم وخاضوا غمار المعركة الوطنية، وعلينا أن نوجه عناية خاصة إلى أمريكا اللاتينية.

الإتحاد القومي للطلاب الفرنسيين .

إن الأسباب التي أدت إلى قطع العلاقات بيننا وبين اتحاد فرنسا ترجع إلى عدم اتخاذه موقفا صريحا ضد الحرب الاستعمارية التي تقوم بها فرنسا ضد شعبنا وإلى التصرفات العدائية التي كان بعض أعضائه يبديها تجاه اتحادنا وطلابنا، وإلى عدم اعترافه بشرعية مطالب شعبنا، وأخيرا إلى الاعتداءات التي قام بها بعض أفراده على اتحادنا.

واليوم وقد صحح المسؤولون في اتحاد طلاب فرنسا أخطاءهم واليوم وقد أبدوا تفهما سليما لقضيتنا الوطنية وأعلنوا عداءهم الصريح للحرب الاستعمارية التي تشن على شعبنا الباسل وعبروا عن ضرورة إعادة السلم إلى ربوع الجزائر عن طريق التفاوض مع جبهة التحرير في البيان المشترك الذي صدر في لوزان في 6 جوان 1960.

فقد كان علينا أن نعيد علاقتنا ونعمل جميعا للضغط على حكومة فرنسا للتفاوض مع حكومتنا الجزائرية .

علاقتنا بحكومتنا :

أن اتحادنا العام جزء لا يتجزأ من شعبنا وهو لبنة في صرح ثورتنا الخالدة، وقد عملنا منذ اللحظة الأولى في إطار الثورة وحملنا مبادئها وأهدافها وقدمنا الضحايا العديدة من أجل انجاحها سواء في الميدان الداخلي المسلح أو في الميدان الدولي . فقد أدرك طلابنا واجبهم وتحملوا مسؤولياتهم الامر الذي اكسبهم ثقة شعبهم وعطف حكومتهم وجيشهم .

وبالمقابل فإن حكومتنا لم تدخر أدنى جهد، رغم الأوضاع الثورية الحرجة التي تجتازها، لتأمين مصالح طلابنا ورفع مستواهم المادي والمعنوي، وايجاد الوسائل التي تسمح لهم بمتابعة دراستهم واستكمال مداركهم وتكوين اطارات هامة لبناء جزائر الغد .

علاقتنا بمنظماتنا الوطنية :

ان العامل الأساسي في نجاح خطط الاستعمار في السابق هو تجزئة النضال الشعبي، وخلق تفرقة في صفوف طبقات الشعب الجزائري وقد أدركت ثورتنا هذه الحقيقة وأدركها شعبنا وبذلك احبطت جميع محاولات العدو وقام تعاون وطيد بين جميع المنظمات الجزائرية في إطار ثورتهم الصارحة، وهذا ما نجده اليوم من تعاون وتنسيق بين الإتحاد العام للعمال الجزائريين ومنظمات الشباب والرياضة والكشافة والإتحاد النسائي الجزائري وبين اتحادنا العام فقد عملنا منذ البدء في اتجاه واحد تدفعنا مبادئ واحدة وتحذونا اهداف مشتركة في الداخل والخارج، وعلينا أن نعزز اليوم هذه العلائق ونزيد في تمتينها بما

يضمن مضاعفة النشاط ويقوي من مكانة ثورتنا ويعجل بالنصر الحاسم ويعيد للجزائر ماضيها المجيد .

مواقفنا من ثورة الجزائر :

كلكم يعرف الوسائل الاجرامية التي يتبعها المستعمرون ضد شعبنا المجاهد، وما يقاسيه من آلام مبرحة وما يلاقيه من عمليات ابادة جماعية وحرق وتدمير لقراه وإعتداءات على اعراض نسائه وبناته على يد 800 ألف جندي فرنسي تساندهم قوات الحلف الأطلسي وامريكا وألمانيا الغربية بصفة خاصة، لقد حاول المستعمر أن يفرق بين الشعب والجيش لعلمه أو قوتنا في اتحادنا ولكن دون جدوى وحاول أن يجد له عملاء يعتمد عليهم ولكنه فشل . وأخيرا اقتنع أن الانتصار العسكري مستحيل وأن عليه عليه أن يعترف لشعبنا بحقه في تقرير مصيره بنفسه، غير أنه أراد أن يجعل من هذا الحق كلمة جوفاء يخادع بها ثورتنا غير أن حكومتنا بوعيها الكامل ويقظتها أفسدت عليه خطته وفضحت دسائسه أمام الرأي العام العالمي بإرسالها وفدا إلى باريس نفسها، وعندئذ اكتشفت أوراقه وسقط في يده .

ونحن الطلبة الجزائريين كنا ولا نزال نساند مواقف حكومتنا الراجحة ونساند حق شعبنا في تقرير مصيره بنفسه ونستنكر كل محاولة لتقسيم ترابنا الوطني أو فصل أجزاء منه فالوطن الجزائري بحدوده الحالية كل لا يتجزأ، وعلينا نحن الطلبة الجزائريين أن نضاعف جهودنا ونساند ثورتنا داخليا وخارجيا لاستعادة كرامة شعبنا واسترداد حريتنا المغتصبة واسترجاع مكانتنا اللائقة في التاريخ .

طلبتنا في الخارج واختصاصاتهم

١ ـ طلبتنا باللغة العربية ....(الشرق الأوسط ـ تونس ـ المغرب) .

ـ الآداب	125
ـ حقوق ـ إقتصاد ـ تجارة	75
ـ التربية	35
ـ علوم	20
ـ تلامذة في المرحلة الاخيرة من التعليم الثانوي	100
المجموع :	355

طلبتنا باللغات الأجنبية

البلدان	المجموع	الآداب	حقوق . تجارة . علوم سياسية واقتصادية	طب وصيدلة	علوم	هندسة
سويسرا	103	7	27	42	11	16
بلجيكا	10		1	6	1	2
ألمانيا الغربية	27	5	3	6	7	6
الولايات المتحدة	21	3	6	1	8	3
يوغسلافيا	24	7	6	5		6
الاتحاد السوفياتي	8		1	3	1	3
بولندا	5		1			4
المجر	6		1		1	4
بلغاريا	9	1	3	4		1
البانيا	5					5
رومانيا	6					6
تشيكسلوفاكيا	23	3	3	2	5	10
ألمانيا الشرقية	102	10	23	12	12	45
تونس	30	4	8	5	12	1
المغرب	47	5	22	5	15	
ـ المجموع	426	426	426	426	426	426

التضامن العالمي من أجل الطلبة الجزائريين :

اندمج الطالب الجزائري في الكفاح الذي يرى لبلاده فتأزمت حالته المادية وتعاظم عدد الطلبة الوافدين من الجزائر على تونس والمغرب، إلى جانب العدد المتزايد من المطاردين من فرنسا فاحدث ذلك مشكلتين :

ـ 900 تلميذ وطالب بتونس و 400 بالمغرب وجب تعليمهم، وتغذيتهم واسكانهم ومعالجتهم وقد اعانتنا منظمات كثيرة للقيام بهم مثل الجمعية التعاونية العالمية .

(خمس عشر مليون فرنك) وثلاثة ملايين لدار الطالب الجزائري التي يديرها الاتحاد المغربي للشغل . واعانة من اللباس وغذائية أو ادوية من جميع اتحادات العالم .

ـ كثير من الطلبة الهاربين من فرنسا وجب ترسيمهم من جديد في مختلف بلدان اوروبا وساعدتنا في ذلك كثير من المنظمات الطلابية وهذا عدد المنح التي أعطيت لنا :

البلدان	عدد المنح	مصدرها	ملاحظات
الاتحاد السوفياتي	6 2	الإتحاد العالمي للطلاب الجامعة العالمية للشبيبة الديمقراطية FMJD	
بولندا	5	اتحاد بولندا	
المجر	6	الإتحاد العالمي للطلاب	
بلغاريا	9	الإتحاد العالمي للطلاب واتحاد طلبة بلغاريا UIE + KMC	+ 15 تلميذا في التعليم الثانوي
رومانيا	6	الإتحاد العالمي للطلاب واتحاد طلبة رومانيا UIE + USAR	
ألبانيا	5		
تشيكسلوفاكيا	23	الإتحاد العالمي للطلاب + طلبة تشيكسلوفاكيا UIE + CSM	
ألمانيا الشرقية	102	الإتحاد العالمي للطلاب + اتحاد طلبة ألمانيا UIE + FDJ	
يوغسلافيا	24	الحكومة اليوغسلافية + اتحاد طلبة يوغسلافيا YUE	
الولايات المتحدة	21	الجمعية القومية لطلبة الولايات المتحدة USNSA	مع تكلمة من الاتحاد .
ألمانيا الفدرالية	27	التعاونية الجامعية العالمية + طلبة ألمانيا WUS + VDS	
بلجيكا	6 2 2	الحكومة التونسية WUS الإتحاد العام للطلبة الجزائريين	
سويسرا	44 12 37 1 9	الحكومة التونسية الحكومة المغربية التعاونية الجامعية العالمية النرويج (NSS) الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين	 زيادة من الاتحاد زيادة من الاتحاد
القطر التونسي القطر المغربي	26 30	الحكومة التونسية الحكومة المغربية .	
المجموع 403 منحة			

النشاط الخارجي :

لقد اتخذ الاتحاد العام للطلبة الجزائريين مبدأ له وهو الحضور في جميع المؤتمرات والمقابلات الدولية كلما استطاع إلى ذلك سبيلا . وتمشيا مع هذه السياسة توصل الاتحاد العام إلى القيام بجملة دعائية كبيرة عرف اثناءها بحقيقة وواقع كفاح الشعب الجزائري واكتسب من وراء ذلك تضامن كل الرأي العام العالمي للطلاب، وهي نتيجة قلما وصل إليها إتحاد عام طالبي غيره.

ويطول الحديث عن ذكر المؤتمرات القومية والدولية التي حضرها اتحادنا ولذلك نقتصر على ذكر اهمها .

- مؤتمر الاتحاد العالمي للطلاب ببراغ (أوت 1956) وبيكين (سبتمبر 1958)

- الندوات السادسة والسابعة للمنظمة العالمية للشباب ببرلين (أوت 1956) ودلهي الجديدة (أوت 1958) .

- مجالس الجامعة العالمية للشبيبة الديمقراطية ودورات مكتبها التنفيذي ببودابست وكولنبو وبراغ وكوناكري .

- الندوات الأسيوية الافريقية أو الافريقية للطلبة بباندونغ (افريل 1956) وكانبلا (جويلية 1958) وتونس (أوت 1959) .

- الندوة الافريقية الاسيوية للشباب بالقاهرة (فيفري 1959) .

- المهرجانات العالمية للشباب والطلبة بموسكو (أوت 1957) وفيينا (جويلية 1959)

اللوائح والمقررات

تفرع المؤتمر عن عدة لجان منها لجنة الشؤون السياسية، ولجنة العلاقات الخارجية، ولجنة الشؤون الداخلية واللجنة النقابية والثقافية ولجنة الصحافة، واتخذت هذه اللجان جميعها مقررات ولوائح صادق المؤتمر عليها فكانت لوائح ومقررات هامة تناولت جميع المشاكل والقضايا التي تعترض العالم الطالبي بصفة عامة والطالب الجزائري بصفة خاصة .

وهذه اللوائح خاصة هي :

تصريح عن السياسة العامة بالجزائر - لائحة تدور حول وحدة المغرب العربي - لائحة حول افريقيا وما يدور فيها الآن من حركات تحررية - لائحة تخص العالم العربي حيث يؤكد الاتحاد تعلقه بعروبته واسلامه - لائحة حول التجارب الذرية بالصحراء - لائحة خاصة بالبلدان العربية يطلب فيها المؤتمر الاتصال باتحادات العرب والتداخل لدى الحكومات لزيادة المنح والاعانات - لائحة شكر للحكومة التونسية - لائحة شكر للحكومة المغربية

- لائحة حول الجامعة المغربية للطلبة لتمتين الوحدة الطالبية - لائحة جمعية الطلبة المسلمين الشمال افريقيين - لائحة حول لجنة الاتصال - لائحة حول طلبة فلسطين - لائحة حول التعاون ووحدة العالم الطالبي - لائحة حول الاتحاد العالمي للطلاب وعلاقاتنا به - لائحة حول مكتب التنسيق للندوة العالمية للطلاب وعلاقتنا به .

لائحة حول التعاون الجامعي العالمي - لائحة حول المنظمة العالمية للشباب - لائحة حول الجامعة العالمية للشبيبة الديمقراطية - لائحة حول علاقات الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين والاتحاد القومي للطلبة الفرنسيين .

ـ لائحة حول الطلبة والتلامذة الفرنسيين العاملين داخل صفوف جبهة التحرير الوطني ـ لائحة عن علاقات الاتحاد العام للعمال الجزائريين والاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين ـ لائحة تخص ملازم الطلبة المادية .

ـ لائحة حول الصحافة والاخبار .

وقد ارسلت إلى جانب هذه اللوائح والمقررات برقيات شكر وتأييد نخص بالذكر منها البرقية التي وجهت إلى فدال كسترو قائد الثورة الكوبية .

غير أنه لضيق المجال نقتصر التصريح عن السياسية العامة بالجزائر واللائحة الخاصة بطلبة فلسطين وبعض فقرات من اللائحة الخاصة بافريقيا .

لائحة عن السياسة العامة بالجزائر :

ان الشعب الجزائري الوفي لتقاليده القديمة في المقاومة الدائمة للاستعمار، شرع بكل تصميم يوم أول نوفمبر 1954 في حرب التحرير بعد ان استنفد جميع الوسائل السلمية لتحقيق استقلاله الوطني، هذه الحرب التي تدخل في نطاق الحركة التحريرية الواسعة التي تهز الشعوب المضطهدة في العالم .

لكن الحكومات الفرنسية المتعاقبة ردت على هذه العزيمة بشن حرب استعمارية جديدة تطورت شيئا فشيئا إلى حرب ابادية تهدف إلى القضاء على الشعب الجزائري وقد اسفرت ست سنوات من القمع والعدوان عن :

- مقتل ما يقرب من مليون ضحية معظمهم من المدنيين .

- جمع أكثر من مليونين من السكان داخل الاسلاك الشائكة بعنوان مراكز « التجمع »

- إقامة محتشدات في الجزائر وفرنسا تضم عشرات الآلاف من الجزائريين .

- انتشار التعذيب الذي اصبح نظاما رسميا معمولا به ، وكذلك القتل الجماعي واعدام جنود جيش التحرير من غير محاكمة مما يعد خرقا لاتفاقيات جنيف التي صادقت عليها فرنسا .

وفي هذه الحرب الاستعمارية ما فتئت فرنسا تتمتع بصفة مباشرة أو غير مباشر بمساعدة بلدان الحلف الأطلسي وألمانيا الفيديرالية ، وبذلك باتت هذه البلدان مشاركة لفرنسا في حربها القذرة ومتحملة لمسؤولية ثقيلة في الجرائم

المقترفة ضد الانسانية والمسلطة من طرف الاستعمار على الجزائر .

وبالرغم من هذا الجهد اليائس من طرف فرنسا الراغبة في القضاء بالقوة الغاشمة على الثورة ، فقد تعززت هذه الثورة وازدادت قوة بفضل الالتفاف القوي للشعب الجزائري حولها وبمساعدة الشعوب الشقيقة والصديقة لها .

وفي الميدان العسكري أصبح جيش التحرير الجزائري جيشا منظما وقويا ومجهزا عصريا ، وهو الذي كان لا يملك في فاتح نوفمبر ١٩٥٤ سوى فرق ضئيلة العدد تحمل سلاحا بدائيا ، هذا الجيش يكلف يوميا قوات العدو هزائم دامية وإلى جانب هذا حققت الثورة في الحقل السياسي والدبلوماسي انتصارات كبيرة بعيدة المدى .

لقد أصبح المشكل الجزائري يحتل مكانة متزايدة الأهمية بين القضايا العالمية .

وقد حقق الاعلان عن الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في 19 سبتمبر 1958 مرحلة حاسمة في اعادة الدولة الجزائرية التي حطمها الاستعمار بعد 1830. إن هذا الحادث ذو الدلالة التاريخية البعيدة المدى يعد منعرجا خطيرا في كفاحنا اذ أن سلطة جبهة التحرير الوطني التي كانت فعلية ، وأصبحت بعد هذا الحادث سلطة شرعية اعترفت بها بلدان تمثل نصف سكان العالم .

ان الجنرال ديغول اضطر تحت ضغط مقاومة الشعب الجزائري إلى الاعتراف بتقرير المصير ، وهذا انتصار كبير لجيش التحرير الوطني وجبهة التحرير والحكومة الجزائرية ومجموع الشعب الجزائري بتضحيات لا حصر لها ، إن هذا الحق الطبيعي المسجل في ميثاق الأمم المتحدة كان من بين الاهداف التي حددها البيان الثوري الذي وزعته جبهة التحرير في أول نوفمبر 1954 هذا الانتصار الذي دفعنا ثمنه من دمائنا ، قد أعانتنا في الوصول إليه الإعانة الأخوية التي منحتها لنا البلدان العربية والبلدان الافريقية والبلدان الآسيوية،

وخصوصا جمهورية الصين الشعبية وجيمع البلدان الصديقة .

إن اعتراف فرنسا بحق تقرير المصير قد سجل كقاعدة صالحة لإيجاد حل سلمي وعادل للمشكل الجزائري يجب أن تحدد بعض العبارات بوضوح فيما يتعلق بمدلولها العميق ومحتواها الحقيقي وكيفية تطبيقها، إن الحكومة الفرنسية قد جردت تقرير المصير من محتواه الأصلي وجعلت منه عبارة جوفاء "للاستهلاك الخارجي" يقصد منه مخادعة الراي العام العالمي ونشر الغموض .

أما من ناحيتنا فإن تقرير المصير معناه حق الشعب في تقرير مصيره بكل حرية طبقا لميثاق الأمم المتحدة. إن تقرير المصير بوصفه مبدأ لا يمكن أن يدخل عليه تحوير أو تغيير، إننا نرفض كل تأويل يهدف إلى إنكار وحدة الشعب الجزائري التي تريد فرنسا أن تضع مكانها خليطا من جماعات عنصرية حسب اللهجات والمعتقدات ...الخ. مما يؤدي إلى تجزئة الجزائر وتقسيمها، إن الوحدة الوطنية الجزائرية واقع محسوس ونحن مصممون على الدفاع عنها وحمايتها.

· وزيادة على هذا فإن كل حل يهدف إلى تجزئة الجزائر مـآله الفشل لأن الشعب الجزائري لن يتهاون فيما يخص وحدته ولن يقبل أبدا أي حل يخل بوحدة التراب الوطني الذي لا يقبل التجزئة .

ثم إن كيفية تطبيق حق تقرير المصير تثير مشاكل ذات أهمية خارقة، ذلك أن المبدأ لا تظهر قيمته ومدلوله الكامل إلا بقدر ما يتحقق في الواقع العملي. وإلا فإنه يبقى كلمة جوفاء تهدف إلى التضليل، إذن فالضمانات المتعلقة بتطبيق تقرير المصير تطبيقا نزيها تمثل شرطا لا بد منه قبل إيقاف القتال، إنه من المستحيل أن يتصور امروء. فضلا على أن يقبل ـ بالشروط التي تحددها فرنسا من جانب واحد، وفي نطاق الأنظمة الادارية تحت إرهاب الحرب والبنادق وثمانمائة ألف جند فرنسي.

بعد تصريح الجنرال ديغول في 14 جوان عبرت الحكومة الجزائرية في جوابها يوم 20 جوان عن إرادتها في تحقيق السلم في الحال فوجهت إلى باريس مبعوثين للتباحث في تحديد الشروط التي يقع فيها التفاوض بين الحكومتين الجزائرية والفرنسية.

إن الحكومة الفرنسية عندما تريد فرض شروطها من جانب واحد، وعندما تريد من محادثات مسرحية إن تتحصل على الاستسلام المطلق، قد رفعت كل لبس وغموض حول نواياها الحقيقة، إن الحكومة الفرنسية بهذا الموقف تتحمل مسؤولية استمرار الحرب.

وليس التعنت على خلق قوة ثالثة وهمية أو تنظيم انتخابات مزعومة أو جمع مائدة مستديرة هو الذي يصل بالحكومة الفرنسية إلى طريق السلم، إن هذه المناورات العقيمة المفضوحة التي ترمي إلى الغاء الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية التي هي الممثل الوحيد للشعب الجزائري، المكافح، بواسطة نواب خلقهم الاستعمار، مناورات محكوم عليها من الآن بالفشل، إن السلم لن يتحقق إلا بموافقة الحكومة الجزائرية التي تمثل الشعب الجزائري كله والتي يفرض عليها واجبها الحصول على جميع الضمانات اللازمة لكي يمكن لشعبنا الذي يكافح ويتألم منذ ستة أعوام أن يتمتع حقيقة بحقه في تقرير المصير ويحقق الهدف الذي ضحى من أجله وهو الحرية والاستقلال.

لذا أيقن الرأي العالمي بعدالة موقفنا وحتى في فرنسا فإن هناك قوى ديمقراطية أدركت هذه الحقيقة وهي تعمل من أجل تسوية القضية الجزائرية.

أما الطلبة الجزائريون فإنهم يعلنون عن تعلقهم المتين بالهدف الذي يكافح من أجله الشعب وهو الاستقلال. وقد برهن الاضراب التاريخي المتواصل الذي أعلنوه يوم 20 ماي 1956 بمقاطعة جميع الدروس والامتحانات على تضحيتهم التامة من أجل تحقيق هذا الهدف الأساسي الذي ترمي إليه الثورة الجزائرية.

وهم لا يزالون أوفياء لمثل ومبادئ من سبقوهم وضحوا بحياتهم الغالية من أجل القضية الوطنية ويدركون أكثر من أي وقت مضى مسؤوليتهم ودورهم في هذه المرحلة الحاسمة من الثورة وقد قرروا في مؤتمرهم القومي الرابع المنعقد ببئرالباي من 26 جويلية إلى غرة أوت مواصلة الكفاح التحريري ومضاعفة مشاركتهم المباشرة في الكفاح كيفما كانت التضحيات .

ويعتبرون أنفهسم مجندين في خدمة الثورة وهم مستعدون إلى التخلي عن دراستهم مرة أخرى بمجرد ما تدعوهم حكومتهم إلى ذلك .

لائحة عن طلبة فلسطين :

- نظرا للظرف والإمتحانات التي يجتازها إخواننا طلبة فلسطين فإن المؤتمر القومي الرابع يوصي المكتب التنفيذي :

أن يكون إلى جانب الطلبة الفلسطينيين أن يساعدهم في كفاحهم من أجل رجوع محقق إلى وطنهم الذي اغتصبته اسرائيل والصهيونية العالمية.

وأن يبذل جهوده في الميدان العالمي في سبيل الطلبة الفلسطينيين واقناع المنظمات الطالبية بشرعية كفاح الطلبة الفلسطينيين.

وأن يعزز علاقاته مع اتحاد طلبة فلسطين وأن ينسق الجهود والعمل لتحرير الجزائر وفلسطين من الكلكل الاستعماري .

مقررات تتعلق بإفريقيا :

ـ نظرا لحرب الابادة الاستعمارية التي تقوم بها فرنسا بالجزائر منذ ستة سنوات والتي تبين عزم الاستعمار على تحقيق خلود نظامه بجميع الوسائل.

ـ نظرا للمؤامرة التي حاكتها بلجيكا والدولة التوسعية ضد الجمهورية الكونغولية الفتية غداة إستقلالها، وهي مؤامرة ترمي إلى تشويه استقلال الدول الافريقية أمام العالم من جهة وتحطيم الوحدة الترابية لهذه الدولة الفتية من جهة أخرى للوصول إلى السيطرة الاقتصادية على المناطق الحيوية من البلاد.

ـ ونظرا لسياسة التمييز العنصري باتحاد جنوب افريقيا يمثل نفي أبسط الحقوق الإنسانية وتترجم في الوقائع بآلام لا تحصى يتحملها الشعب الافريقي ضحية قمع ومجازر لا توصف.

فإن المؤتمر القومي الرابع للإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين:

ـ يؤكد أن انتهاء الحرب الاستعمارية بالجزائر بأهميتها ونتائجها، عنصر فعال في مستقبل إفريقيا ولهذا فهو من الاجباري تكاتف جميع قوى الشعوب الافريقية لتحقيق انتصارالثورة الجزائرية ولذلك بالإعراض عن مشاركة الجنود الافريقيين المجندين بالقوة في صفوف الجيش الاستعماري الفرنسي في حرب الجزائر من جهة ، وبإعانة الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية إعانة مادية وديبلوماسية.

ـ يحيي استقلال الكنغو ويعبر عن تضامنه لحكومة الجمهورية الكونغولية التي عرفت كيف تفسد المؤامرة الاستعمارية وتحمي سيادة الكنغو وتخاف

على الوحدة الترابية.

- يقف ثائرا وغاضبا ضد السياسة العنصرية التي تستعملها حكومة افريقيا الجنوبية في اتحاد جنوب افريقيا وفي افريقيا الجنوبية الغربية والمناطق المجاورة ويوجه نداء لهيئة الأمم المتحدة لتجعل حدا للحالة التي تمثل تحديا لدستورها وللإنسانية جمعاء.

لائحة حول الحركة الطلابية العربية :

" .. حيث أن توحيد الحركات الطلابية العربية يخدم قضية الثقافة العربية ويمكن الطلاب العرب من أداء رسالتهم والاستفادة من تجاربهم المختلفة.

فإن المؤتمر الوطني الرابع للإتحاد لعام للطلاب المسملين الجزائريين المنعقد في بئر الباي بتونس ابتداء من تاريخ 26 جويلية إلى غرة أوت سنة 1960.

1- يؤكد وجوب العمل على الإتصال بجميع الإتحادات الطلابية العربية لعقد مؤتمر عام خلال هذه السنة من أجل تحقيق وحدة الطلاب العرب.

2- يدعو إلى الاستمرار في مناصرة جميع القضايا العربية سيما الطلابية منها.

3- يحي الاتحادات الطلابية العربية التي خرجت حديثا إلى الوجود، ويعبر عن ارتياحه للجهود التي بذلت لتوحيد الحركات الطلابية العربية".

أيها المهرجان هذا نشيدي

لمفدي زكريا

ماجـه المحـفل الرهيب فـقـالا | وتغنى يخلد الاحـتـفـالا
وانبري الشعر من عصير الحنايا | بشـعـاع مّن وحـيـه يتـلالا
وسـرت روحـه نشـيـداً زكـيـا | كـالتسـابيح تلسمـا تتـعـالى
عـرفـتـه النجـوم للكون لحنا | فكسـا الكون روعـة وجـلالا
عـصـرته يد الجـزائر خـمـرا | احـمـر كـالدمـاء ، عـذبا زلالا !!
زرعـتـه الاشـلاء في الحـقل زهرا | غـمـر الارض فـتنة وجـمـالا !
سكبـتـه روح "الفـدائي" عطرا | ضـمخ السـهل والربى والجـبالا !!
نفثـتـه الشـفـاه في الشـعب سـحـرا | تخـذ الوعي للقلوب مـجـالا !!
صنعتـه الاحداث في الغاب فـاسـا | فـغـدا يحـصـد الجـذوع الطوالا ..!!
أوفـدته إلى العـصـور رسـولا | ثورة الحق يلـهم الاجـيـالا !!

أيها المهرجان في قدس الخضر | اء ، لح في سـمـا الشـمـال هلالا !!
أيـهـا المـهـرجـان في "دار شـغل" | خـذ من "الدار" عـبـرة ومـثـالا !
أيـهـا المـهـرجـان ، تونس دار | أنت فـيـهـا تزور عـمـا وخـالا !
بلد آمن ، وشـعـب كـريم | عـبـقـري ، افـضـاله تتـوالى !
ورئيس كـالشـعب ، أكـرم بشـعب | ورئـيـس يقـدس الابطـال !

أيـهـا المـهـرجـان والارض حـيـرى؟؟ | والليـالي من الزمـان حـبـالى !
يا أسـاة الزمـان ، يا مـعـشـر الطلـ | ـلا ... يشكو الزمـان داء عـضـالا !
يا شـمـوع البـلاد في ظلمـة اليـ | ـل ... وعهد الظلام في الشعب طالا !
يا صـمـام الامـان في النكبـة الكبـ | ـرى ويا من أنعـشـتـم الآمـالا !

يا رجاء الغد القريب إذا مالـ ـغد القى عليكم الأحمالا !
يا وقود الاتون في الثورة الكبـ ـرى ، إذا ما الاتون زاد اشتعالا !
سجلت ثورة الشعوب على الظلـ ـم ، لطلابنا الأباة خصالا!
إن للطالبين اسمي الرسالا ت ، إذا الطالبون راموا النضالا !
إنما الظلم والظلام سواء في بلاد تحقق استقلالا !
إنما الجهل والهوان سواء في بلاد تصارع الاهوالا
ثورة الاسر حققت ثورة الفكر إذا الشعب حطم الاغلالا
خلدوا في جزائر الغد للطلـ ـلاب فكرا ، وشرفوه فعالا !
وابعثوها على ذكي ماها تتحدى الاقدار والآجالا !
"حلفكم رابع" وللشعب "نقاشا" ذاريات ما كل فيها النزالا !
اذكروا حين تفتحون "نقاشا" إنه "ناقش" الزمان قتالا !
واتقوا الله في العروبة والفصـ ـحى ...فكم صوبوا إليها النبالا !
لغة العز والكرامة والمجـ ـد، تهادى على الدهور اختيالا !
تتحدى العصر الجديد ، وتغزو افق الفكر ، قوة وكمالا !
"بالموسيقى" الفاظها عازفات تسكر الروح رقة وجمالا !
والمعالي "باللانهاية" تسمو لوراء الغيوب تبغى إنسلالا !

كم رماها ذوو الجهالة بالعقـ ـم ، سفاها، وخسة، وضلالا !
مسخوها وشوهوها انتهاكا وابتغوها سخافة وابتذالا !
جهلوها ، فأنكروها ... وطعم المـ ـاء مر لمن يئن أعتلالا !
واسترق المستعمرون عقولا يوم شدوا عن البلاد الرحالا !
باقيات "عيونهم" راصدات في حمانا تصلي البلاد وبالا !
أنزلت بالنفوس وهما وشكا واشعات في "الناشئين" انحلالا..!!
ذل شعب لم يتخذ لغة الاجـ ـداد حصنا ... ورام عنها انفصالا !!
وعقوق لبنين اعظم خطب يرهق الشعب ذلة ونكالا !!

ايها المهرجان هذا نشيدي سجلوه للصاعدين مقالا !
اطرب اليوم لحنة المغرب الجار بار ، والثائرين والاحتفالا
رتلوه على الضحايا صلاة يستجبها سبحانه وتعالا



871-1916), Puf, Paris
Augustin Berque : l'Afrique
André Men

شعار المؤتمر

المصـــــادر والمراجــــع

1 - Exposé de la situation générale de l'Algérie en (1881 à 1960);
- Statistique générale de l'Algérie (1894-1924).
- Annuaire statistique de l'Algérie (1925-1961).

2 - Amar Ouzegane : Le Meilleur Combat ed. René Juithard Paris 1962.

3 - Marcel Emerit : L'état intellectuel et moral de l'Algérie en 1830. Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine Juil-Sep 1954.

4 - Fanny Colonna : Instituteurs Algériens (1883-1939) Paris. Presse de la Fondation Nationale des Sciences Politiques 1975

5 - Marcel-Edmond Naegelen : Mission en Algérie, Paris Flammarion 1962

6 - Yves Courrière : La guerre d'Algérie Paris, Fayard 1968 Tome I Les Fils de la Toussaint.

7 - Guy Pervillé : Les Etudiants Algériens de l'Université Française (1880-1962) ed. Centre National de la Recherche Scientifique Paris 1984.

8 - Ismaïel Hamet : Les Musulmans Français dans le Nord de l'Afrique Paris 1906.

9 - Gouvion Marthe et Edmond : Le livre des notables Maghrébins Algérie - Alger 1920.

10 - Ferhat Abbas : l'intellectuel musulman en. Algérie (recueil) Alger 1920.

11 - Brochier (Jeanne et André) : Le livre d'Or de l'Algérie - Alger 1937

12 - Georges Hardy : Histoire sociale de la colonisation française Paris 1983.

13 - Charles Robert Ageron : Les classes moyennes dans l'Algérie coloniale dans les classes moyennes au Maghreb Aix Paris 1980.

14 - Maurice Violette : l'Algérie vivra t-elle ? Paris, Alcan 1931.

15 - Robert Aron : Les origines de la guerre d'Algérie - Paris, Fayad 1962.

16 - Augustin Berque : Les Intellectuels Algériens - Revue Africaine 1947.

17 - Malek Bennabi : Vocation de l'Islam le Seuil, Paris 195

18 - Charles Robert Ageron : Les Algériens musulmans et la France (1871-1916), Puf, Paris 1964.

19 - Augustin Berque : l'Afrique Française, Paris 1935.

20 - André Mandouze : La révolution Algérienne par les textes 3 ed. Maspero 1961.

21 - Bruno Etienne : Les étudiants algériens en lutte, UGEMA Tunis 1960
- L'étudiant musulman Algérien, étude et carrière - Paris, Bureau Universitaire de Statistique 1959.
22 - Charles Robert Ageron : La pétition de l'Emir Khaled au Président Wilson (Mai 1919) Revue d'Histoire Maghrébine (19-20) Juillet 1980.
- l'Emir Khaled fut-il le premier nationaliste algérien ? Paris, Puf 1972.
23 - Malek Haddad : Les zéros tournent en rond Maspero Paris 1961.
24 - M. Robert chapins, ancien vice président de l'UNEF (discours d'Ahmed Taleb au 1er congrés de l'UGEMA Juillet 1955
25 - Abdallah Mazouni : Culture et enseignement en Algérie et au Maghreb - Maspero - Paris 1969
26 - Albert Memmi : Portrait du colonisé, préçédé du portrait du colonisateur, Buchet-chastel - Paris 1957.
27 - Chérif Benbabyles : L'Algérie française vue par un indigène - Alger 1914
28 - Hanafi, dit Hesnay - Lahmek : Lettres aglériennes Jouve, Paris 1931 préface de Maurice Violette
29 - Robert Randau et Fikri (Abdelkader) : Les Compagnons du jardin, préface de René Maunier) : Le Seuil, Paris 1959.

1 - Borella Françoise et la Fournière Michel : Le syndicalisme étudiant le Seuil, Paris 1954.
2 - Jeau Paul Angelelli : l'Opinion française et l'Algérie de 1930 Thèse de 3e cycle - Paris X 1972.
3 - Saïd Boualam : Mon pays, la France : ed. France Empire Paris 1962.
Les harkis au service de la France Paris, même éditeur 1963.
4 - Jean-claude Passeron : les héritiers, les étudiants et la culture ed. minuit Paris 1964.
5 - Bremond (général) : L'effervesance des étudiants musulmans nord-africains, vendéniaire (3) Janvier 1934
6 - François Buy : Les étudiants selon Saint-Mars en Europe et en Afrique - Paris 1967.

7 - Fanny Colonna : Le communismé et la Rébellion Algérienne le cas de l'UGEMA Est-Ouest 18 Juin 1958.
Conférence nationale étudiant pour un solution du problème algérien - Paris Juillet 1956.
8 - Desparmet (J) : Nombreux articles dans l'Afrique Française notamment Octobre 1932 (le deuxième congrés des étudiants musulmans nord-africains) et Décembre 1935 (le cinquième congrés des étudiants nord-africains.
Dialogue entre Algériens : l'Echo d'Alger 19 Décembre 1950
15 Janvier 1951.
9 - Zahir Farès : Les thèmes, les idées et l'action du syndicalisme étudiant algérien (de 1955 à 1962).
10 - Pièrre Gaudez : Les étudiants Julliard Paris 1961.
11 - Gourdon Hubert, Henry Jean - Robert et Henry - Lorcerie Françoise : Roman colonial et idéologie colonial en Algérie, Revue Algérienne des Sciences Juridiques, Economiques et Politiques - Alger Vol XI (1) Mars 1974.
12 - Jean Melia : Le triste sort des indigènes musulmans algériens - Alger 1935.
Histoire de l'Université d'Alger - Alger 1950.
13 - Abdelkader Rahmani : L'affaire des officiers Algériens ed. le Seuil, Paris 1959.
14 - André Servier : Le péril de l'avenir. Le nationalisme musulman en Egypte, en Tunisie, en Algérie ed. Constantine 1913.
15 - Emmanuel Sivan : Communisme et nationalisme en Algérie, Paris, Presses de la FNSP 1976.
16 - Benjamin Stora : le Syndicalisme étudiant et le problème algérien - Lille, FGEL, 1960.
17 - Yvonne Turin : Affrontement culturels sans l'Algérie colonial Paris, Maspero, 1971.
18 - Xavier Yacono : l'Université d'Alger des Origines à 1962 Itinéraires (264) Juin 1982.
19 - Zenati (R) : Le problème algérien vue par un indigène Alger 1938.

فهرس موضوعات الكتاب

طبع المؤسسة الوطنية للنشر والاشهار - رويبة .

1995

الأهداف الداخلية:
1) التطهير السياسي بإعادة الحركة الوطنية إلى نهجها الحقيقي والقضاء على جميع مخلفات الفساد وروح الاصلاح التي كانت عاملا هاما في تخلفنا الحالي.
2) تجميع وتنظيم جميع الطاقات السليمة لدى الشعب الجزائري لتصفية النظام الاستعماري.
الأهداف الخارجية:
1 ـ تدويل القضية الجزائرية،
2 ـ تحقيق وحدة شمال افريقيا في إطارها الطبيعي العربي والاسلامي،
3 ـ في إطار ميثاق الأمم المتحدة نؤكد عطفنا الفعال تجاه جميع الأمم التي تساند قضيتنا التحريرية.
وسائل الكفاح:
انسجاما مع المبادىء الثورية، واعتبارا للاوضاع الداخلية والخارجية، فإننا سنواصل الكفاح بجميع الوسائل حتى تحقيق هدفنا.
إن جبهة التحرير الوطني، لكي تحقق هدفنا يجب عليها أن تنجز مهمتين أساسيتين في وقت واحد وهما:
أولا: العمل الداخلي سواء في الميدان السياسي أو في ميدان العمل المحض.
ثانيا: العمل في الخارج لجعل القضية الجزائرية حقيقة واقعة في العالم كله، وذلك بمساندة كل حلفائنا الطبيعيين.
إن هذه مهمة شاقة ثقيلة العبء، وتتطلب كل القوى وتعبئة كل الموارد الوطنية. وحقيقة أن الكفاح سيكون طويلا ولكن النصر محقق.
وفي الأخير، وتحاشيا للتأويلات الخاطئة وللتدليل على رغبتنا الحقيقية في السلم، وتحديدا للخسائر البشرية وإراقة الدماء، فقد أعددنا للسلطات الفرنسية وثيقة مشروعة للمناقشة إذا كانت هذه السلطات تحدوها النية الطيبة، وتعترف نهائيا للشعوب التي تستعمرها بحقها في تقرير مصيرها بنفسها.
1) الاعتراف بالجنسية الجزائرية بطريقة علنية ورسمية ملغية بذلك كل الأقاويل والقرارات والقوانين التي تجعل من الجزائر أرضا فرنسية رغم التاريخ والجغرافيا واللغة والدين والعادات للشعب الجزائري.
2) فتح مفاوضات مع الممثلين المفوضين من طرف الشعب الجزائري على أسس الاعتراف بالسيادة الجزائرية وحدة لا تتجزأ.
3) خلق جو من الثقة وذلك بإطلاق سراح جميع المعتقلين ورفع كل الاجراءات الخاصة وإيقاف كل مطاردة ضد القوات المكافحة.
وفي المقابل:
1) فإن المصالح الفرنسية، ثقافية كانت أو اقتصادية والمتحصل عليها بنزاهة، ستحترم وكذلك الأمر بالنسبة للأشخاص والعائلات.
2) جميع الفرنسيين الذين يرغبون في البقاء بالجزائر يكون لهم الاختيار بين جنسيتهم الأصلية ويعتبرون بذلك كأجانب تجاه القوانين السارية، أو يختارون الجنسية الجزائرية وفي هذه الحالة يعتبرون كجزائريين بما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات.
3) تحدد الروابط بين فرنسا والجزائر وتكون موضوع اتفاق بين القوتين الاثنتين على أساس المساواة والاحترام المتبادل.
أيها الجزائري إننا ندعوك لتبارك هذه الوثيقة. وواجبك هو أن تنضم إليها لانقاذ بلادنا والعمل على أن نسترجع له حريته، إن جبهة التحرير الوطني هي جبهتك وانتصارها هو انتصارك.
أما نحن، العازمون على مواصلة الكفاح، الواثقون من مشاعرك المناهضة للامبرياليين، فإننا نقدم للوطن أنفس ما نملك».

أول نوفمبر 1954

الحركة الطلابية الجزائرية

1871 - 1962

• مشارب ثقافية وايديولوجية •

تأليف : الدكتور عبد الله حمادي أستاذ بجامعة قسنطينة